جامعة ديالى
كلية التربية للبنات
قسم الرياضيات
المرحلة الأولى

اللـغــة الـعربيــة

أستاذ المادة: د.رياض حسين علي

الأدب الجاهلي

نشأة الشعر الجاهلي وخصائصه :

لا ريب ان المراحل التي قطعها الشعر الجاهلي حتى استوى في صورته التي هو عليها ، مراحل غامضة ، فليس بين أيدينا أشعار تصور أطواره الأولى ، إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة للقصائد الجاهلية بتقاليدها المعقدة من الوزن والقافية والمعاني والموضوعات ومن اهم ما يمتاز به الشعر الجاهلي :

١. **انه شعر غنائي** : اذ ان الشعر الجاهلي يختلف عما عند الغربيين من ضروب الشعر كالشعر القصصي ، والتعليمي ، والتمثيلي ، لانه شعر غنائي اذ انه يجول في مشاعر الشاعر واحاسيسه وعواطفه ويصور ذلك ان كان حزناً او فرحاً ، فهو شعر ذاتي يصور نفسية الفرد وعواطفه سواء كان مدحاً او وصفاً او فخراً او هجاءً ، فالشعر الجاهلي أرتبط بالغناء عند أقدم شعرائه ، فالغناء كان اساس تعلم الشعر عندهم.

٢. **يمتاز بمعانيه الواضحة البسيطة** : فمعاني الشعر الجاهلي ليس فيها تكلف ولا بعد ولا اغراق في الخيال ،فالشاعر الجاهلي لا يعرف الغلو ولا المبالغة التي قد تخرج به احياناً عن الاعتدال ، اذ ينقل الاحاسيس نقلاً أميناً ، لذا كان شعر الشاعر منهم وثيقة دقيقة لمن يريد ان يعرف حياة الشاعر وبيئته ، فهو يصف البيئة برمالها وأنهارها واشجارها ومزاعيها وحيواناتها باسلوب بسيط واضح وبمعانٍ واضحة ايضاً .

٣. **التقليد والمحاكاة** : وهذه الميزة في الشعر الجاهلي جعلت الشعراء لا يتسعون بمعانيهم بل يدورون حول معانٍ تكاد تكون واحدة وكأنما اصطلحوا على معانٍ واحدة ، فما يقوله طرفة في الناقة يقوله غيره من الشعراء ، وما يقوله أمرؤ القيس في بكاء الديار يقوله جميع

الشعراء ، وهكذا ولكن هناك تفصيلات يضيفها الشاعر في شعره لا تجدها في شعر غيره ، أي ان بعض الشعراء كان يولدون بعض المعاني ويستنبطون اخرى ، وينفرون التقليد .

٤ . لم تكن معاني القصيدة الجاهلية الحسية جامدة ، بل قد أشاعوا فيها الحركة والحياة كي لا تكون سبباً في نشر الملل في نفوس القارئين ، فبثوا فيها الحيوية والحركة ، وهذه الحركة مشتقة من حياتهم التي لم تكن تعرف الثبات والاستقرار فهم دائماً في حلٍّ وترحال وراء الكلاء والغيث ومساقط الأمطار .

٥ . إن القصيدة الجاهلية لم تكن تضم موضوعاً واحداً يرتبط به الشاعر بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف لا تظهر فيها صلة ولا ربط بين هذه الموضوعات ، فالقصيدة الجاهلية مجموعة من الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية .

٦ . نجد في القصيدة الجاهلية ضرباً من الروح القصصية ، فذلك واضح في وصفهم للحيوان الوحشي ، ووصف الصعاليك ومغامراتهم المختلفة ، وهذا سرد تتمشى فيه الروح القصصية على نحو ما نجده في قصائد كثيرة كقصيدة عمرو بن كلثوم وغيره من الشعراء .

٧ . ان الشعر الجاهلي كامل الصياغة ، فالتراكيب تامة ولها رصيد من المدلولات تعبر عن هذا الشعر ، وهذا يعبر عن رقي الشعر الجاهلي من حيث لغته ، فيمتاز هذا الشعر باختيار الالفاظ ، وتجنب الألفاظ الثقيلة وغير المرغوب فيها .

٨ . ان الشاعر الجاهلي قد استعان ومنذ القديم بطائفة من المحسنات البديعية ، واكثر ما نجد في شعرهم من هذه المحسنات : التشبيه ، فلم يبق شيء الا وقرنوه بما يماثله ويشبهونه من واقعهم الحسي ، وهذا يكثر في شعرهم الوصفي ، وكذلك نجد في شعرهم كثرة الاستعارات بفرعيها الصريحة والمكنية ، وكذلك كثر في شعرهم الطباق والجناس .

وهذه أهم مميزات الشعر الجاهلي ، وثمة مميزات أخرى نوجزها بالاتي :

أغراض الشعر الجاهلي

نعني بالشعر الجاهلي : ذلك النتاج الإبداعي الذي يتحدد بما قبل البعثة النبوية بما يقرب من (١٥٠ – ٢٠٠) سنة على رأي الجاحظ المتوفي (٢٥٥هـ) وقد كان لهذا الشعر أغراض عديدة ومختلفة أهمها :

١. **الوصف** : وهو أهم الأغراض الشعرية في تلك الفترة ، وقد شاع عند الشعراء الجاهليين ، وشغل حيزاً كبيراً من دواوينهم ، وقلما نجد شاعراً من شعراء ذلك العصر قد أغفل هذا الغرض الشعري .

٢. **الغزل** : والغزل كان ديدن شعراء الجاهلية وكانوا يعبرون به عن تجاربهم في حبهم ، وكثيراً ما كان يفتتح الشاعر الجاهلي قصيدته بالمقدمة الغزلية ، ويمكن أن نعد الشاعر امرؤ القيس خير من يمثل هذا الغرض ولاسيما ذلك النوع الحسي منه .

٣. **الخمرة** : وهو من الإغراض التي شاعت بشكل واسع في شعر ودواوين شعراء الجاهلية ، ولا يمكن أن نتحدث عن غرض الخمرة في شعر ما قبل الإسلام دون أن نشير الى أبي بصير الذي اقترن أسمه بهذا الغرض وبرع في القول بهذا الغرض ، ونقصد بابي بصير(الأعشى الأكبر) .

٤. **المديح** : لقد برع معظم شعراء الجاهلية في هذا الغرض الشعري ، وأكثر من برع فيه من شعرائهم زهير بن أبي سلمى ، وكذلك الأعشى ، وقد أتسع هذا الغرض لحب الأمراء والسلاطين لسماع أشعارهم إذ كانوا يجزلون العطاء للشعراء .

٥ . **الرثاء** : والرثاء أخذ حيزاً كبيراً من شعر الجاهلية ، وهو مدح لموتاهم ، وقد برع العديد من شعرائهم في هذا الغرض ، وعلى رأسهم أبو ذؤيب الهذلي ، والخنساء الذين سجلوا برثائهم مكانة سامية في مكانتهم الشعرية.

وهناك أغراض أخرى أخذت مكانها في دواوينهم منها : الحكمة ، والاعتذار ، والفخر.

٤

امْرُؤُ القَيس

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، أبوه حجر وريث الملوك في كندة فملك أسداً وغطفان. ولد ابنه امرؤ القيس في نجد، وشب في بيت الملك فراح يلهو ويعاشر صعاليك العرب نال نصيباً وافراً من حياة المجانة واللهو، بين صيد وغزل وشراب، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، وتقول الروايات المشهورة: إن امرأ القيس لما أتاه نعي أبيه ــ وهو يلهو في مكان اسمه (دمون) في حضرموت كان أبوه نفاه إليه لما رآه من عبثه ــ قال: رحم الله أبي، ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً. ونبذ الشراب، وفارق أخدان الصبا والشباب، وآلى ألا يقر له قرار حتى يثأر لأبيه من بني أسد، وأخذ يتنقل في القبائل يستنفر العرب، إلا أنه لم يلق إلا الخذلان، وطلبه النعمان بن المنذر، فاستجار بالسموءل، ثم رأى أن يستعين بقيصر ملك الروم يوستينيالوس على المناذرة والفرس، فرحل إليه في خبر طويل، ثم إن قيصر الروم ماطله ولم ينصره. وقيل: إنه منحه إمارة بادية فلسطين، وعاد يريدها، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح فأقام إلى أن مات في أنقرة في سنة ٨٠ قبل الهجرة = ٥٤٥ للميلاد.

وامرؤ القيس أشهر شعراء العرب على الإطلاق، لقنه خاله الشاعر المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، ثم لما استقام له الشعر، كان أول من جلا أبكار المعاني، ونوّع الأغراض وافتنّ في المقاصد، حتى عد العلماء بالشعر والنقاد شعره في الفنون التي ابتكرها مثلاً يقاس عليه، ويحتكم في السبق والتخلف إليه. له ديوان شعر طبع أكثر من مرة[1].

---

(١) ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المقدمة ـ والأغاني: ٩/ ٧٧، وديوانه صنعة السندوبي.

٥

شمائل...(*)

عَـفَـتِ الـدِّيـارُ فَـمَـا بِـهـا أَهْـلِـي
وَلَـوَتْ شَـمُـوسُ بَـشَـاشَـةَ الـبَـذْلِ[١]

نَـظَـرَتْ إِلَـيْـكَ بِـعَـيْنِ جَـازِئَـةٍ
حَـوْرَاءَ حَـانِـيَـةٍ عَـلَـى طِـفْـلِ[٢]

فَـلَـهَـا مُـقَـلَّـدُهَـا ومُـقْـلَـتُـهَـا
وَلَـهَـا عَـلَـيْـهِ سَـرَاوَةُ الـفَـضْـلِ[٣]

أَقْـبَـلْـتُ مُـقْـتَـصِـداً وَرَاجَـعَـنِـي
حِـلْـمِـي وسُـدِّدَ لـلـنَّـدَى فِـعْـلِـي[٤]

وَالـلّـهُ أَنْـجَـحُ مـا طَـلَـبْـتُ بِـهِ
والـبِـرُّ خَـيْـرُ حَـقِـيـبَـةِ الـرَّحْـلِ[٥]

ومِـنَ الـطَّـرِيـقَـةِ جَـائِـرٌ وَهُـدىً
قَـصْـدُ الـسَّـبِـيـلِ ومِـنْـهُ ذُو دَخَـلِ[٦]

(*) من لاميته في ديوانه تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ص ٢٣٦ - ٢٣٩ ومطلعها:
حي الـحـمـول بـجـانـب الـعـزل إذ لا يـلائـم شـكـلـهـا شـكـلـي
وانظر ديوانه صنعة السندوبي ص: ١٤٧ - ١٤٨.

(١) عفت: درست. ولوت: مطلت وجحدت. والشموس: النفور. والبشاشة: حسن اللقاء. والبذل: مثل الحديث والتسليم وما أشبه ذلك.

(٢) الجازئة: الظبية أو بقرة الوحش التي جزأت واستغنت بأكل الكلأ عن الماء. والحانية: المتعطفة على طفلها.

(٣) المقلد: الجيد والعنق، موضع القلادة. سراوة الفضل: خلوصه وشرفه.

(٤) مقتصداً: أقبلت على الرشاد والقصد. حلمي: عقلي. وسدد: وفق.

(٥) الحقيبة ها هنا: الذخيرة.

(٦) الجائر: المائل عن الصواب والحق. والدخل: الفساد.

(١) عمرو بن كلثوم

شاعر جاهلي مشهور من أصحاب المعلقات السبع ، وهو فارس من فرسان قومه بني تغلب، وسيد من ساداتهم. وأمه ليلى بنت المهلهل الشاعر الجاهلي القديم، وعمها كليب المشهور بالعزة والمنعة .

وعمرو هو الذي قتل عمرو بن هند ملك الحيرة في بلاطه . وكان ابن هند ملكا متجبرا مستهينا بغيره . دعا يوما الشاعر وأمه الى الحيرة ، وفي نفسه أن يذله بأن تستخدم أمه هند أم الشاعر ليلى . وحين سمع عمرو بن كلثوم صوت أمه وهي تصرخ : واذلاه عمد الى سيف عمرو بن هند وكان معلقا بالرواق ، فضرب به رأس ابن هند فقتله ، ونادى فيمن معه من بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق الى ديارهم في لجزيرة .

وقد أشار عمرو بن كلثوم الى هذه الحادثة في معلقته التي أولها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا[١]

والقصيدة من جيد الشعر العربي القديم ، ولشغف بني تغلب بها ولكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء معرضا بهم :

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

قال عمرو الشعر في الفخر والمديح والهجاء وذكر الخمرة .

وقد أنشد عمرو بن كلثوم قسما من قصيدته في بلاط عمرو بن هند ، أما القسم الآخر فقد زاده عليها بعد قتله للملك ، وفيها يقول :

أبا هِنْدٍ فلا تعجلْ علينا وأنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقينا[٢]
بأنّا نُوردُ الرايات بيضاً ونصدرهُنّ حُمْراً قد رُوِينا
وأيّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عصينا المَلْكَ فيها أنْ نَدينا[٣]

وسيدِ معشـــرٍ قد توجوهُ بتاج المُلْكِ يحمي المحجَرينا[٤]
تركنـــا الخيلَ عاكفـــةً عليـــهِ مقلـــدةً أعنتَهـــا صُفونا[٥]
ألا لا يعلـــمُ الأقـــوامُ أنّا تضعضعنـــا وأنّـــا قد ونينا[٦]
ألا لا يجهلنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـــلَ فوقَ جهـــلِ الجاهلينا
وقـــد علـــمَ القبائـــلُ مِن مَعَدٍّ اذا قبـــبٌ بأبطحهـــا بنينـــا[٧]
بأنّـــا المطعمـــونَ اذا قدرنـــا وأنـــا المهلـــكونَ اذا ابتلينا[٨]
وأنـــا المانعـــونَ لِمـــا أردنـــا وأنـــا النازلـــونَ بحيثُ شينا[٩]
ونشربُ إنْ وردْنـــا المـــاءَ صفـــواً ويشـــربُ غيرُنـــا كدراً وطينا
اذا ما الملكُ سامَ النـــاسَ خسفاً أبينـــا أنْ نُقِـــرَّ الـــذُّلَ فينا[١٠]

معاني المفردات :

١ ـ أصبحينا : أسقينا الصبوح . الأندرون : قرى بالشام

٢ ـ أبا هند : يريد عمرو بن هند . أنظرنا : أمهلنا

٣ ـ الأيام : الوقائع . الغر : المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها بين الخيول

ندين : نخضع ونذل .

٤ ـ المحجرين : الممنوعين من الاذى ، الملجئين .

٥ ـ العكوف : الأقامة . الصفون : جمع صافن ، وصفن الفرس اذا وقف على ثلاث قوائم .

٦ ـ التضعضع : التذلل . ونى : فتر وضعف .

٧ ـ الأبطح والبطحاء : الأرض المنبسطة الواسطة .

٨ ـ ابتلينا : اختبرنا بالقتال .

٩ ـ شينا : شئنا أي أردنا .

١٠ ـ سام الناس خسفا : كلفهم ما فيه الهوان والذل .

التعليق النقدي :

القصيدة النونية رائعة من روائع الشعر العربي القديم ، وهي واحدة من المعلقات التي عني بها العرب ، فحفظوها وروها لما تميزت به من بناء فخم ، ومعان قيمة تصور جانبا من حياة العرب الاجتماعية قبل الاسلام . وهي نموذج من الشعر الحماسي بصوته العالي وصياغاته الهادرة ورنينه المتوثب وهي بعد هذا لون من ألوان الفخر الذي احتل مكانا واسعا في الشعر العربي على امتداد عصوره . ومن خلاله تبدو لنا شخصية الشاعر بغرورها وطموحها واذا كان عمرو بن كلثوم سيد قومه ورئيس قبيلته فليس غريبا ان ينطلق لسانه عما في قلبه من أباء وشمم وهو يثور بوجه ملك حاول أن يذله ويستهين بمكانته وها هو الشاعر يفخر بشرفه وقوة قبيلته وهو مؤيد ببأس عشيرته ، ويتمهل عمرو بن هند حتى يتثبت من حقيقة بني تغلب وما هم فيه من أباء وقوة ، فوقائعهم مشهورة خاضوها في وجه ملوكهم خوف أن يذلوا ويلحقهم العار .

وواضح ، أن الشاعر يتكلم في الابيات التي تقدمت والتي بعدها بلسان المجموع ، فهو لا يفخر بشخصه بعيدا عمن ينتسب اليهم ، وينضوي تحت راياتهم ، ويعز بعزهم وينهض بهم ، وقبائل معد تعرف هذا عنهم ، وتعرف انهم يكرمون الضيفان ويطعمون القاصدين .

ويستمر الشاعر في انغام فخره المتعالي ، لا يترك مكرمة الا نسبها الى قبيلته ولا فضلا الا ادعاه لقومه .

وبعد فهل استطاع ابن كلثوم ان يقدم من خلال هذه الابيات المتلاحقة ، صورة معبرة عما كان يحسه في أعماقه من فتوة وعنفوان ؟ اي نعم لقد انسابت هذه المعاني وغيرها في كل قافية من قوافيه ، وامتزجت مع بعضها لتكتمل هذه الأضمامة من الاحاسيس العربية ، وهي تبدو متشحة بوشاح الاباء والاعتزاز بالشرف الرفيع والايام الغر ، ولقد انسابت هذه العواطف المتلاحقة في انغام قوية وأداء عاطفي مكن الشاعر من تصوير غضبه وثورته . وحقا فالسامع لا يكاد يفرغ من سماع صدر البيت حتى يهجم عليه عجزه في سرعة موسيقاه وانغامه والقصيدة بعد هذا ، فخمة العبارة ذات ألفاظ رنانة منتقاة ، كانت خير وعاء فني لأفكار الشاعر ، وانفعالاته التي تلاحقت بتلازم الابيات وترابط بعضها مع بعضها الآخر لتحكي حكاية واقعية من حكايات العرب الأباة في عصر ما قبل الاسلام .

الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام
مقدمة موجزة عن الأدب الإسلامي

يبتدىء هذا العصر ببعثة النبي محمد (ﷺ) ودعوته بمكة قومه من قريش والعرب عامة إلى الإسلام في سنة (٦١٠م) ويمتد ليشمل حياة الرسول في مكة والمدينة ، ثم عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، حتى قيام الدولة الأموية في سنة (٤١ هـ) . ويسمى الشعراء الذين عاشوا في هذا العصر وأدركوا عصر ما قبل الإسلام بالمخضرمين . وقد ازدهر فن الكلام في هذا العصر ، وصار الأدب يمثل روح الإسلام ، ويعكس مدى تأثر الأدباء والشعراء بأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبلاغتهما ، ولذلك تغير مجرى الحياة الأدبية عند العرب تغيراً واضحاً وقد تجلى هذا التغير في الشعر والنثر من حيث السمات الفنية أو الموضوعات والاتجاهات .

١ - الشعر

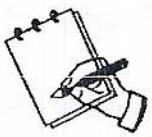

عندما جاء الإسلام انقسم الشعراء إزاءه إلى فريقين ، فريق آمن به وأيّده ودعا إليه في شعره ، وفريق وقف ضده لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية ، فشهر سلاحه الشعري لمحاربته والتأليب عليه .

وقد كان يمثل الاتجاه الأول ثلاثة شعراء من الأنصار ، هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ويمثل الاتجاه الثاني معظم شعراء قريش ، مثل عبد الله بن الزِّبعري وأبي سفيان بن الحارث وهبيرة بن أبي وهب ، ويؤازرهم

في هذا الموقف شعراء اليهود ، الذين نكثوا عهدهم لرسول الله بالموادعة وحسن الجوار مثل كعب بن الأشرف والربيع بن أبي الحقيق ومَرْحب اليهودي وشعراء القبائل العربية أمية بن أبي الصلت الثقفي .

كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم الوقائع والأيام والمآثر والأنساب ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة الأوثان ، فكان أشدَّ القول على المشركين قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قولُ ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، لتغير المفاهيم وتبدل المثل لديهم . واحتدم الصراع الكلامي بين هذين الاتجاهين ، وحين تم النصر للإسلام انحاز معظم شعراء قريش والقبائل إلى المعسكر الإسلامي ، وانضموا إلى شعراء الإسلام يدعون له ويناضلون خصومه وكان للشواعر من النساء أيضاً دور كبير في هذه المعارك الكلامية ، فشاركن فيها بالبكاء على القتلى ، وبالتحريض على الانتقام ، وبإظهار التشفي بقتلى الأعداء فمن الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبد الله وصفية بنت عبد المطلب ومن شواعر قريش هند بنت عتبة وقتيلة بنت الحارث . وربما ظهر بعض اللين والضعف على قسم من الشعر الإسلامي ، لانصراف بعض الشعراء الكبار عنه مثل لبيد بن ربيعة والنابغة الجعدي ، ولتضييق التعاليم الدينية لبعض أغراضه القديمة وأساليبه ، ولأن الإسلام أبطل بعضاً من البواعث التي كانت تهيج الشعراء وتلهب مشاعرهم .

لكنه أوجد أغراضاً وأساليب جديدة وخلق بواعث لا وجود لها قبل الإسلام.

ومع ذلك فهذا لا يعني أنّ الإسلام حارب الشعر.

أو نهى عنه كما ذهب بعضهم مستندين إلى قوله تعالى :

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (١)

إن القرآن الكريم لم يحارب الشعر لذاته في هذه الأحكام ، وانما حارب المنهج الذي سار عليه بعض الشعراء ، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ومنهج الأحلام المهوّمة التي تشغل أصحابها عن العمل لتحقيقها . وميّز القرآن الكريم بين فريقين من الشعراء ، فريق استغل فنه فيما ينافي الدين وآدابه ، فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن الكريم ، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير والفكرة الجميلة وإلى نصرة الحق حيث وُجد ، فهو الفريق الذي استثناه من الوصف العام وأيّده بكل ما يمكن من قوة مادية ومعنوية .

فالقضية إذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والأغراض وليست في الشعر لذاته لأنه سلاح ذو حدّين . لذلك قال الرسول (ﷺ) : (إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه) . وقال الرسول (ﷺ) : (إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيّب) .

---

(١) الشعراء / الآية ٢٢٤ - ٢٢٧ .

أما الحديث الذي تداوله الرواة على أنه تعبير عن موقف الرسول (ﷺ) المعادي للشعر ونصه (لئن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً خيرٌ من أن يمتلىء شعراً) فانهم لم يروه كاملاً ، إذ تكملته الصحيحة (هُجيتُ به) وفي هذا الاستدراك يتّضح جلياً موقف الرسول (ﷺ) من الشعر ، فهو لم ينه عنه بل نهى عن لون معين منه ، وعن موضوعات خاصة ، تقوم على هجائه الذي يعني هجاء الدعوة ومحاربة الدين . ومن الطبيعي أن ينصرف الشعراء عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس ، ويثير الضغائن بين أبناء الأمة الواحدة ، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضائل ، ويعين على نشر الرذائل فكل هذه الألوان من الشعر تخالف المبادىء التي قرّر الإسلام أن تكون أسس مجتمعه الجديد . أما فيما عدا ذلك فإن الرسول (ﷺ) أقرَ قول الشعر ، وطلب من الشعراء أن يردوا على قريش وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم . وأثنى على شعراء الدعوة ، وقدّر دورهم في المعركة فقال : (هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل) .

وقال لحسان : (لشعرك أجزلُ عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً ، ولشعر كعب بن مالك أشد على قريش من رشق السهام) .

كما أدرك أثر الشعر في نفس العربي ، ، فحثّ بعضهم على هجاء الكافرين ليشفي صدور المسلمين ، ولئلا يبقى ذلك في قلوبهم فقال بعد هزيمة المشركين يوم الأحزاب :

(إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟) فأجابه شعراء الإسلام الثلاثة وهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة لهذه الدعوة .

ويروى أن النبي (ﷺ) بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر وعندما تولى الخلفاء الراشدون الأمر من بعد الرسول (ﷺ) ساروا على نهجه في موقفهم من الشعر والشعراء ، لذلك نظم الشعراء في عصر الراشدين أكثر من قصيدة شعرية رائعة خلدوا فيها انتصارات العرب والمسلمين وبطولاتهم في الجهاد في سبيل الله ، فهذا النابغة الجعدي يخاطب امرأته حين كانت تلومه على كثرة خروجه للجهاد وغيابه في حروب تحرير بلاد فارس ، فيقول لها :

يا ابنة عمي كتابُ الله أخرجني
طوعاً وهل أمنعنّ الله ما فعلا

فإنْ رجعتُ فربُّ الناسِ يُرجعني
وإن لحقتُ بربي فابتغي بَدلاً

ما كنتُ أعرجَ أو أعمى ليعذرني
أو ضارعاً من ضَنَى لم يستطع حِوَلا (١)

(١) ضارعاً : نحيلاً . ضنى ، مرض ، حولا ، تحويلا من مكان إلى آخر .

كما برز عدد آخر من الشعراء ولجوا بأشعارهم ميادين جديدة استحدثتها حروب التحرير من الشرك وعبادة الأوثان . وقد تركت الأحداث التأريخية الكبرى في تلك الفترة أثراً واضحاً في الشعر والشعراء مثل فتح مكة ، وعام الوفود ووفاة الرسول (ﷺ) وحروب الردة واستشهاد بعض الخلفاء الراشدين.

ويمكن إيجاز موضوعات الشعر الإسلامي بالدعوة إلى الإسلام ، وهجاء أعداء الدعوة ، ورثاء شهداء الإسلام ، أو من قُتل ظلماً من الخلفاء والصحابة والفخر بالدين الجديد ، وبالانتصارات على الخصوم ، وهو ما يسمى بشعر الحماسة لصلته الوثيقة بحروب الإسلام التحريرية ، والمدح لمن تجسدت فيه مبادىء الدين الجديد ولا يخلو الشعر من شذرات في الحكمة والوعظ والزهد .

أما خصائص الشعر في هذه الفترة فيمكن أن نلمسها في تأثره بمعاني الإسلام وأفكاره النبيلة ، والعناية بجمال السبك ورقة الكلام ، وانتقاء الألفاظ السهلة الواضحة ، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

(١) مالك بن الريب

حين انتصر الاسلام في الجزيرة العربية ، خرج العرب المسلمون من جزيرتهم لنشر دينهم وللجهاد في سبيل الله ، وكان شعراء الفتوحات الموفقة يتغنون بشجاعتهم ، وبسالة فرسانهم ، وينشدون أناشيد الفخار والانتصار .

وشعراء الفتح كثيرون أشهرهم : مالك بن الريب وأعشى همدان وثابت قطنة ، وكان هؤلاء ، بعد أن فارقوا أوطانهم ، وابتعدوا عن عشائرهم وأبنائهم ـ يذكرون ديارهم ويحنون الى أهلهم ، فكان شعر الحنين الى الوطن نموذجا في الاصالة وصدق العواطف والرقة والعذوبة .

ومالك من بني مازن ، مولده ومنشؤه في بادية في بادية تميم بالبصرة ، وأخبار حياته الاولى مجهولة . وفي أخباره أنه كان رجلا فقير الحال يعيش عيشة الشظف والكفاف ، وذلك ما دفعه الى التمرد على حكم بني أمية فمال الى التصعلك والاعتماد على الغزو والاغارة سبيلا الى تحقيق وجوده وكسب قوته .

وابن الريب فارس شجاع ، قاد الغارات على القوافل وقطع طرقها ، متحديا الحكام الامويين وهو يقود مجموعة من الصعاليك ، الذين يتميزون بالقوة والجرأة وسرعة الجري وتحمل الاهوال ، وكلهم ذوو سخط ونقمة وتمرد . وقع مالك في قبضة مروان بن الحكم ، ولكنه يقتل حارسه ويفر الى البحرين .

ويلقاه سعيد بن عثمان بن عفان ـ قائد جيش معاوية الى خراسان ـ ويقنع مالكا بالاقلاع عن حياة التصعلك ، وأن يضمن له ما يريد . . ثم استصحبه معه الى خراسان سنة ٥٦هـ . وهناك يشترك مع سعيد في الفتوح الاسلامية ويبلى بلاء عظيما . وعزل معاوية سعيدا عن ولاية خراسان بعد أن عظم نفوذه ، وقفل سعيد عائدا ، وبينما هو في طريقه الى المدينة ، وفي صحبته مالك في موضع يقال له « الطبسان » مرض مالك واشتدت به العلة ومات هناك قبل أن يعود الى وطنه وأهله سنة ٥٧ هـ . واذا كان مالك قد بدأ حياته متمردا صعلوكا ، فانه مات رجلا صالحاً مؤمنا حريصا على الجهاد .

ويدور شعره في موضوعات الفخر والهجاء والوصف الحنين .

ولنقرأ معا هذه المجموعة من أبياته التي قالها ضمن قصيدته اليائية المشهورة اذ قال :

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنّ ليلةً
بجنبِ الغضا أُزجي القِلاصَ النواجيا[١]

فليت الغضا لم يقطعِ الركبُ عَرْضَهُ
وليت الغضا ماشَى الرِّكابَ لياليا[٢]

لقد كان في أهل الغضا لو دَنا الغضا
مَزارٌ ولكنّ الغضا ليس دانيا

ألم تَرني بِعْتُ الضّلالةَ بِالهُدى
وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عفّانَ غازيا

وأصبحتُ في أرض الأعاديّ بعدما
أرانيَ عن أرض الأعاديّ قاصيا

تقولُ ابنتي لَمّا رأتْ طُولَ غُربتي
سَفارُكَ هذا تارِكِيْ لا أباليا

فللهِ دَري يومَ أتركُ طائعاً
بَنِيَّ بأعلى الرقمتينِ ومالياً[٣]

تذكّرْتُ من يبكي عَلَيّ فلم أجدْ
سِوى السيفِ والرمحِ الردينيِّ باكيا[٤]

وأشقَرَ خنذيذٍ يجرّ عِنانه
الى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقيا[٥]

أقــولُ لأصحابـي ارفعونـي فإنّهُ
يقَــرُّ بعينــي انْ سُهيلٌ بدَالِيا[٦]

فيا صاحَبيْ رحلــي دنـــا المــوتُ فانـزِلا
بــرابيةٍ إنّــي مُقيــمٌ لياليــا

وخُطّا بأطرافِ الأسنّة مضجعــي
ورُدّا على عينـيّ فَضْـلَ رِدائيــا[٧]

ولا تحسُدانــي باركَ اللهُ فيكُما
من الأرض ذاتِ العَرض أنْ تُوسِعا لِيا

خُذانـي فجُرّانـي بثــوبـي اليكما
فقـد كنـتُ قبلَ اليومِ صَعْبــاً قياديــا

فيــا صاحبـا أمّـا عرضـتَ فبلغَنْ
بَنِـي مـازنٍ والــريبِ أنْ لا تلاقيـا

غريبٌ بعيدُ الــدار ثاوٍ بقفرةٍ
يدَ الدهر معروفـاً بأنْ لا تدانيا[٨]

أُقَلِّبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى
بــهِ من عُيونِ المؤنسـاتِ مراعيــا

وبالـرملِ مِنّـا نِسوةٌ لو شهدننـي
بكينَ وفـدّيْنَ الـطبيبَ المداويــا

معاني المفردات :

١ ـ ليت شعري : ليتني أعلم . الغضا : شجر ينبت في الرمل . أزجي : أسوق . النياق النواجي : السراع .

٢ ـ الركاب : الأبل . وجمعها ركائب .
٣ ـ فلله درى : تعجب من نفسه . الرقمتان : موضع في دياره .
٤ ـ الرديني : نسبة الى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .
٥ ـ خنذيذ : الحصان القوى العالي .
٦ ـ سهيل : نجم لامع يطلع في بلاد العرب في أواخر الصيف.
٧ ـ الأسنة : واحدها السنان.وهو رأس الرمح . مضجعي : قبري .
٨ ـ ثاو : مقيم . قفرة : الأرض الفلاة . يد الدهر : أبد الزمان .

التعليق النقدي :

عانى مالك من ثقل الغربة ووطأة الوحدة والبعد عن الأهل والابناء وامتلأت نفسه شوقا الى ارضه وديارة ، بعد أن شط به المزار ونأت الدار ، وكان في قلبه أكثر من أمل الى لقاء الأحبة والعشيرة ، وكم تمنى هذا اللقاء وهو بعيد ، وكم اشتدت به اللهفة الى العودة الى وطنه وملاعب صباه ؟ وها هو مالك يبدأ قصيدته الخالدة بهذا السؤال المعبر عن شوقه الجامح لأن يبيت ولو ليلة واحدة في مضارب أهله ، وان يعود الى عهده الاول يوم كان يسوق نياقه في دروب باديته .

لقد استخدم الشاعر « ليت » مرات متتابعة ليعبر من خلالها عن أمانيه في العودة ، فالذكريات تتابع عليه ، فتخيل ذلك اليوم الذي خرج فيه مغتربا مبتعدا .

ان شجر الغضا هو رمز للوطن عند مالك ، لذلك نجد الشاعر يكرر هذه اللفظة « الغضا » ليقرر ما يختلج في قلبه من حب وشوق وحنين ، وغرض الشاعر من ترديدها مقصود منه اشاعة الحنين والتشوق وتقوية النغم في أبياته ولا أظننا نستثقل من الشاعر أن يكرر « ليت » و « الغضا » لأنه من خلال هاتين اللفظتين ينفث آهاته ، وينفس عن ضيقه ، ويخفف من حسرته ولهفته .

ان الشاعر غير آسف على ما فعل حين أهتدى ونزع ثوب الضلال ووافق سعيدا على مشاركته في حرب الفتح ، ورافقه في طريق الذهاب والاياب ، ولكنه أبدا في ذكرى دائمة ، وأمل لا ينقطع للعودة والالتقاء بالاهل والابناء وليس هذا حسب ، بل انه ليشتط

على نفسه بالعتاب والتأنيب لأنه لم يفكر مليا قبل أن يقرر الرحيل ، وأن العجب ليأخذه فيتساءل : كيف أطاع ابن عثمان وترك ابناءه وكل ما يملك ؟ إنه حساب صادق مع النفس ، وما ذلك الا لعمق شعوره بالمسؤولية تجاه أهله وأبنائه ، فلقد خلف وراءه محبين يسائلون عن عودته النهار ، ويبكيهم طول السفار .

أن مالكا في ساعة موته المر لا يجد من يؤنسه في وحدته ، وهو يفكر فيمن سيبكيه فلا يجد هناك قريبا منه غير سيفه ورمحه وحصانه ، انها عدة الفارس ، وهذه الرفقة الطويلة بينه وبينها جعلته ينزلها من نفسه منزل العاقل الذي يحس بموت صاحبه وفراقه ، انها وحدها ستبكيه وتألم لموته .

ان الحنين الى الوطن يمتزج لدى الشعر بندب النفس ، فها هو يتطلع لشوق لأن يكحل ناظريه برؤية « سهيل » النجم الذي لا يرى الا في ناحية خراسان .

ولا يلبث تطلعه للعودة بالخفوت والضعف ، بعد أن ايقن بالموت بعيدا وحيدا ، فراح يدعو من معه لان يحفروا له قبره .

وجميل هذا الايقاع في قوله « من الأرض ذات العرض » . والشاعر وهو يجود بنفسه لا يفوته أن يرفع صوته بالفخر وابائه . انها لحظات حسرة وألم وشكوى صامته لما صار اليه . اذ يشعر ابن الريب بدنو الاجل واستحالة العودة ، وانه لا بد ملاق الموت وهو غريب ، ينقطع لديه الامل وتسوده روح الخيبة ويخضع لسلطان الايام .

لقد وفق مالك الى رسم هذه هذه الصورة المعبرة عن أحاسيسه النفسية ، وما يختلج في نفس المغترب الوحيد من أسى وحزن في لحظات الحياة الاخيرة ولعل العمق والصدق والاصالة التي تميزت بها هذه القصيدة فيما ضمنها الشعر من افكار انسانية وانفعالات حية ، لعل ذلك كله يكمن وراء خلودها على ممر الايام والعصور ، ان هذه الابيات درس في حب الوطن ودعوة مخلصة للالتصاق بترابه ، والتعلق به في ساعات الحياة والموت .

(٣) جميل بثينة

هو جميل بن معمر بن عبد الله بن الحارث من بني عذرة . ولد بوادي القرى قرب المدينة ، وفي هذا الوادى نشأ وعاش أيامه .

وقد اشتهر جميل بحبه لبثينة التي تلتقي واياه في النسب ، وكان أول لقاء بينهما في وادي بغيض حين كان يرعى ابله ، ثم علقها قلبه ، وملأ هواها جوانحه ، وراح يتغزل بها ويذكرها في شعره ، بعد أن جمع الحب العفيف بين قلبيهما النابضين بأرق العواطف وأندى الاحاسيس وذاع أمرهما بين الناس .

ومنعها أهلها من لقائه ، ثم زوجت من غيره ، فاغتم الشاعر وتألم ، وعصف به حبها وشقي به .

وظلت الصلة قائمة بين المحبين حتى شكاه أهلها الى السلطان الذي أهدر دمه ، فاضطر جميل الى التخفي ، ثم رحل الى مصر قاصدا عبد العزيز بن مروان ، وتوفي هناك عام ٨٢ للهجرة .

كان جميل رجلا شجاعا غير هياب ، عف النفس ، نقي الثوب ، لأنه لم يعرف الحياة الحضرية وما فيها من لهو وعبث . ويروى عنه أنه قال وهو يجود بنفسه : « لا نالتني شفاعة محمد (ص) واني لفي أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، ان كنت قد وضعت يدي عليها لريبة » . لقد عاش جميل محبا تيمه الحب وأضناه ، ولكنه محب متعفف لا يبغي قضاء وطر ، عشق الجمال ، ودان بالحب ، فجاء غزله صادق الاحاسيس نبيل العاطفة ، وكان لحبه الضائع وأمله الخائب أثرهما الكبير في شدة الحزن الذي صبغ شعره العاطفي .

قال جميل الشعر في أكثر أغراضه كالمديح والهجاء والفخر ، ولكن شهرته قائمة على ما قال في الغزل العذري التي نسب الى قبيلته ، لأن شعراءها أكثروا من التغني به ونظمه . ويذهب الدارسون الى أن شاعرنا كان ممن عرفوا بمراجعة الشعر وتهذيبه قبل اذاعته في الناس .

ان مؤرخي الأدب العربي القديم مجمعون على أنه « امام المحبين » ووصفته سكينة بن الحسين بأنه « أشعر الشعراء » . ذلك هو جميل حامل لواء المحبين المتعففين ، وهو صورة صادقة لحياة الطهر في البادية العربية .

وما قاله الشاعر في بثينة كثير ، لعل من أجوده هذه الأبيات من قصيدته الدالية لطويلة وأولها :

ألا ليتَ أيّامَ الصفـاءِ جديدُ
وذهـراً تولّـى يـا بُثَيْنُ يعودُ[١]

. . . . . .

خَليلـيّ ما أُخفـي من الوجـدِ ظاهر
ودمعـي بمـا أُخفـي الغـداةَ شهيدُ
ألا قـد أرى واللهِ أنْ رُبَّ عَبْرةٍ
اذا الـدارُ شَطّـتْ بيننـا ستزيد[٢]
إذا قلـتُ : ما بِيْ يا بثينـةُ قاتـلي
مـن الحُـبِّ قالـتْ: ثابـتٌ ويزيدُ
وإنْ قلتُ : رُدّي بعضَ عقلـي أعشْ بهِ
مـعَ النـاسِ قالـتْ : ذاكَ مِنـكَ بعيدُ
فـلا أنـا مردودٌ بمـا جئـتُ طالبـاً
ولا حُبُّهـا فيمـا يَبِيدُ يَبيدُ[٣]
وقلـتُ لهـا بينـي وبينـكِ فاعلمي
مـن اللهِ ميثـاقٌ لَـهُ وعُهودُ
ويحسَـبُ نِسـوانٌ من الجهـلِ أنني
إذا جئـتُ أياهُـنَّ كنـتُ أُريدُ

فَأَقسم طرفي بينهُنّ فيستوي
وفي الصدرِ بَونٌ بينهنّ بَعيد
ألا ليتَ شَعري هل أبيتنّ ليلةً
بوادي القرى إني إذاً لَسعيد
يموتُ الهوى مِنّي إذا ما لقِيتُها
ويحيا اذا فارقْتُها فَيَعُودُ
يقولونَ جاهِدْ يا جميلُ بِغَزوةٍ
وأيُّ جِهادٍ غيرهُنّ أُريدُ
لِكُلٍّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ
وكُلُّ قتيلٍ بينهنّ شَهيدُ

معاني المفردات :

١ ـ تولى : ذهب .
٢ ـ شطت : بعدت .
٣ ـ يبيد : يزول وينتهي .

التعليق النقدي :

كان الغزل العذري امتداد للغزل العفيف في عصرما قبل الاسلام ، فقد شهد هذا العصر طائفة من المحبين الذين تيمهم الهوى وأضناهم العشق ولكن هذا اللون من الغزل كان أكثر شيوعا في عصر بني أمية ، وكان العشاق العذريون في هذا العصر كثيرين ، خاصة في البادية العربية التي كان أهلها أقرب الى صفاء النفس ونقاء الروح .

ولقد أطال جميل الحديث العذب عن أحاسيسه تجاه حبيبته بثينة ، وشكا بمرارة حرمانه ومعاناته ، وتحرق الى لقاء الحبيبة . وقراءة ابياته المتقدمة توضح ما كان يتميز به غزل جميل من وفاء وألم . فلطالما تشوق الى لقائها وتطلع الى ديمومة حبها النقي الصافي ،

وكم حاول أن يكتم حبه ويخفي وجده ولكن ما حيلته والصب تفضحه عيونه ، وكم استدل الناس على العاشقين بدموعهم . فالشاعر المحب عانى من هذا الحب ما عانى عيش مر ، وليل مسهد وقلب واجف ، وفي أبياته الدالية كما في غيرها من غزله حديث رقيق صور جانبا من حبه بحرف نقي ولفظ عف ، ولسنا هنا بصدد المبالغة فمن روحانية هذا اللون من العشق ، فهذا الحب « لا يلغي الجسد الغاء تاما فذلك ما لا يتفق مع طبيعة الحياة ولا يستقيم مع واقع الصلة بين العواطف والغرائز في الطبيعة البشرية » .

ان الخيبة في هذا الحب هي التي أدت بالشاعر الى الاكثار من التمنيات التي لم تتحقق من خلال عباراته المتكررة « ألا ليت » فليس لأيام صفائه من عودة ولا لدهر المتولي من رجوع ، وليس لحبه الأصيل من ذهاب . ورائع هذا التكرار للفعل يبيد في بيته السادس ، ففي هذا التكرار تصوير لهذا الـ ـداد الـذي تشربته عروقه ، وأمتلأت به جوانبه ، والتاعب له روحه ، وهذا الذي قال جميل ، حكاية واحدة من حكايات كثيرة عن بثينة وما لقيه بسببها ، ولاجل حبها الذي يتجدد كل يوم ويحيا في نفسه عند كل لقاء .

والذي تقدم من قول صورة من صور الحكاية والمجاهدة التي ابتلى بها العاشقون العذريون ، صورة شفافة صادقة رسمتها هذه الصياغات الرقيقة ، والنسيج اللفظي العذب في وضوحه وقرب معناه وتآلف مفرداته ، وواضح في أبيات جميل هذا اللون من ألوان الطباق السهل العفوي الذي اقتضته معاني القصيدة كما هو بين في . . تولي ويعود . . وأخفي وظاهر . . ويموت ويحيا . . ولقيتها وفارقتها . وأنت معي في أن هذا لا يشير الى تكلف أو تصنع ، أنما هو محاولة لتقرير المعاني ، ورسم الصورة الناقلة للمعاناة الداخلية في نفس الشاعر ومقدارها يزدحم في كيانه من انفعال وصراع .

الأدب العباسي

التعريف بالعصر العباسي وسماته:

يعد العصر العباسي من أطول وأغزر العصور الأدبية التي رافقت نمو الأدب العربي وتطوره وتعني دراسة هذا العصر التعرف على أحوال الأدب في أكثر من خمسة قرون من حكم الأسرة العربية العباسية تبدأ من سنة (١٣٢هـ) وهو تاريخ انتقال السلطة من الأمويين الى العباسيين ، وليس هذا التاريخ فاصلا في كل شيء فقد كانت السنوات الأخيرة من أيام الأمويين تمهيدا للسنوات الأولى من أيام العباسيين.

ولما قام الحكم الجديد ظهرت معه ظواهر ميزت عصره منها : النفوذ الفارسي واختلاط حضارات مختلفة من فارسية وهندية واغريقية ولمثل هذا الاختلاط محاسن اذ أنه يسهل للأمم الاستفادة من تبادل التجارب والأفكار ويقرب بني الانسان من بعضهم مما يؤدي الى توسع في النظرة الى الأشياء وهذه حسنة وقعت فعلا ولكن هذا الاختلاط اذا لم يكن قائما على أساس واذا صاحبته مطامع وعقليات ضعيفة أدى الى مساوىء وقد أدى فعلا الى مساوىء كان منها ظهور الشعوبية والزندقة والتحلل الخلقي ومما تضمن به العصر العباسي ازدياد مجموعة من الأثرياء الذين تفننوا في أنواع الترف وكان هذا سببا من أسباب قيام بعض الثورات وظهور الدعوة الى الزهد بالدنيا وازدياد الشكوى والحرمان.

لم تكن الحياة الأدبية في معزل عن التطور الذي حدث في المجتمع فلقد طرأ على الأدب تغير تابع تغير الحياة وأساليبها فضعفت في الشعر بعض الأغراض عما كانت عليه في العصر الأموي ومن ذلك الغزل العذري والشعر السياسي والنقائض والفخر القبلي وولد في الشعر غرض بغيض هو الغزل بالغلمان واشتدت أغراض الخمرة والمجون وأصبح للزهد والفلسفة مكانا ملحوظا وأصاب الأغراض الأخرى من مديح وهجاء بعض التغيير.

ومال عدد من الشعراء الى الصفة البلاغية فأكثروا من الجناس والطباق وما اليها وألقوا في استعمال الاستعارة والكناية.

ووجدت دعوة لتغيير بناء القصيدة العربية اذ لم يرتض بعض الشعراء التقليد القائم على البدء بالنسب.

لقد كان الحكم العباسي من الطول (١٣٢- ٦٥٦هـ) بحيث دعا المؤرخون الى تقسيمه الى عصور تبعا للصفة الغالبة في السياسة . ومع قناعتنا بأهمية التقسيم الزمني في دراسة الأدب الا أننا نشير الى ضرورة تأكيد تطور الفنون الأدبية في العصر كله لأنه الجانب المهم والأجدى.

يمثل العصر العباسي بجملته أعلى مراحل تطور ونضج الأدب العربي ففي القرنين الثاني والثالث الهجريين بدأت الحركة الجادة لتدوين مصادر الثقافة العربية الأصلية ونشطت حركة التأليف والترجمة والنقل وأظهرت اللغة العربية عبقريتها الفذة في القدرة على استيعاب مصادر الثقافة والعلوم المبتكرة أو المنقولة من حضارات الأمم الأخرى.

وفي العصر العباسي الثاني استكملت الحضارة العربية نضجها وتفوقها وبلغت بعطائها وعمقها وأصالتها مركز الريادة الأولى في مجال الحضارة الانسانية في حينه وعنها ومن أساسها صدرت الحضارة العالمية المعاصرة في العلوم والفنون كافة وقد أظهرت بذلك كله فضل تراثنا العظيم على الانسانية جمعاء.

ان مظاهر التجديد في العصر العباسي لم تقف عند حدود تخطي الأشكال القديمة والثورة عليها بل تجاوزت ذلك المضمون فكرا أو سلوكا فنيا وبذلك تدر للشعراء والكتاب أن يصوروا حياتهم الجديدة أصدق تصوير وقد انعكست في اثارهم الأدبية البيئة الجديدة في أسسها الطبيعية والاجتماعية والسياسية والفكرية.

وقد يكون من الأنسب أن نشير هنا الى أن الأديب العربي في العصر العباسي لم يكتفي بالتعبير عن جوانب الترف ووصف مظاهر الحياة الجديدة أو التغني بالخواطر الذاتية المقرونة باللهو والدعة فقط بل أسهم اسهاما ملموسا في تحديد مواقفه ازاء تحديات الشعوبية وقد تطورت هذه المواقف في العصر العباسي الثاني الى السلوك في أدب الرفض الذي وقف الى جانب طبقة العامة الواسعة ومعاناتها أمام طبقة الحكام وأتباعهم وهم قلة ملكوا كل شيء وحرموا الشعب من أي شيء ويبدو أن الضعف السياسي الذي بدأ منذ مطلع القرن الرابع الهجري ورافق قيم الدولتين البويهية والسلجوقية كان وراء هذا التحول في مناهج بعض الشعراء والكتاب وظهور أدب الرفض في العصر العباسي الثاني.

- أغراض الشعر وفنونه:

بيئة الشاعر هي التي توحي اليه القول ومنها يستمد خواطره وأفكاره ومعانيه فيصوغها في قوالب من الشعر سواء أكانت تلك البيئة اجتماعية أم فكرية ومن المعلوم أن البيئة في هذا العصر قد تغيرت عما كانت عليه في العصر السابق بما طرأ من تطورات في الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية وبما كان من نماذج بين الأمم السامية والآرية فكان ان تأثر الشعر بالحضارة الجديدة وظهرت أثارها فيه بارزة واضحة وترك القول في بعض أغراض الشعر وهي في الغالب بعض الأغراض القديمة التي لا تتفق هي والبيئة الجديدة كبكاء الديار ومخاطبة الأطلال ووصف الصحراء وما فيها من حيوانات ونبات ومياه ومن بقي ذاكرا لها منهم – وهم قليل – انما فعلوا ذلك رغبة منهم في الاحتفاظ بذلك التراث الشعري وتقليدا لأسلافهم كما ترك القول في المنافرات والمناقضات اذ كانت تعبيرا عن عصبية القبيلة وقد اضمحلت في هذا العصر وأزال التمايز بها في المجتمع الجديد وتحولت الى أشكال أخرى.

أما أغراض الشعر في هذا العصر فهي أما أغراض قديمة توسعوا بها وافتنوا وأما أغراض جديدة ابتكروها وهي:

١. **الوصف:** فمنها غلبة الوصف وتوسعه فيه وتفننهم في تصوير المشاهد وتمثيل الخواطر اذ كانت مظاهر الحضارة الجديدة وما لزمها من ترف العيش وغضارة النعيم وما تمثلت به من قصور ومجالس أنس ورياض وبرك وملاعب وتماثيل ومواكب ورسوم وشارات وأبهة سلطان قد أطلقت قرائح الشعراء فوصفوا ما تقع عليه أعينهم من ذلك. ويعد البحتري من أعظم شعراء هذا العصر براعة في هذا الفن اذ بلغ العناية

في وصف القصور والآثار الشاخصة وقصائده في قصور الخلفاء ولا سيما قصور المتوكل منها في سامراء تعد أروع ما خلف شعر الحضارة في هذا العصر، قال البحتري يصف قصرين للمتوكل بسامراء يقال لأحدهما الصبيح وللآخر المليح:

قد صفا جانب الهواء ولذت... رقة الماء في مزاج المدام
واستقم الصبيح في خير وقت... فهو مغنى أنس ودار مقام
ناظر وجهه المليح فلو ي ... طيع حياه معلنا بالسلام
كالمحبين لو أطاقا التقاء ... أفرطا في العناق والالتزام
مستمد بجدول من عباب ال ... سماء كالأبيض الصقيل الحسام

٢. **الخمر**: ومنها التوسع في أوصاف الخمر والتغني باسمها والدعوة الى معاقرتها والتفنن في نعوتها وتشبيهاتها وذكر سماتها ومذماتها ونقلها وكان الشعراء من قبل يلمون بها الماما أما في هذا العصر فقد أصبح القول بها باب من أبواب الشعر مستقلا وغرضا بنفسه قائما تنظم فيه القصيدة كلها وتستهل بها المطالع بعد أن كانت تستهل بالوقوف على الأطلال الدمن وبكاء الديار وأهلها. وكان أبو نؤاس أكثر الشعراء نكيرا لهذا التقليد لقوله:

عاج الشقي على رسم يسائله ... وعجبت أسأل عن خمارة البلد

وقوله:

قل لمن يبكي على رسم درس ... واقفا ما ضر لو كان جلس

وقد تبع أبو نؤاس في هذا الغرض أكثر شعراء عصره ومن جاء بعدهم وكانوا في الغالب عالة عليه مقلدين له.

٣. **الغلو في المدح:** ومنها المبالغة في المديح والاغراق في أوصاف الممدوحين وتفخيم شأنهم بما هو خارج عن الذوق وما يفضي أحيانا الى الكفر فالشاعر لم يجد لشعره مسوقا أروج من طرق أبواب الملوك والأمراء والقواد يمدحهم ويأخذ جوائزهم ولما كان هؤلاء تستهويهم المبالغة في التعظيم والغلو في الثناء بحيث يعطون على مقدار ذلك لم يتورع الشعراء عن استجابة تلك الدواعي طمعا في المزيد من العطاء. قال أبو نؤاس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

وقال البحتري:

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى اليك المنبر

وقال محمد بن وهب:

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا ... فما لك موتور سيفك واتر
ولد لم تكن الا بنفسك فاخرا ... لما انتسبت الا اليك المفاخر

وكان أثرا من آثار الفساد الاجتماعي والانحلال الخلقي وأول ما ظهر قويا في شعر والبة بن الحباب والحسين بن الضحاك ومطيع بن اياس من خلفاء الكوفة ثم ظهر في شعر أبي نؤاس وذلك بعد اختلاطه بهم فوجهوه في طريقهم وخرجوه بها فما لبث حتى بزهم وأكثر النظم في هذا الغرض وتفنن فيه الشعراء ممن جاء بعده وغدا القول فيه

بابا من أبواب الشعر حتى طغى على الغزل بالمؤنث وقد خرج أبو نؤاس في هذا الضرب من الغزل – في كثير من شعره – الى المجون والافحاش في القول بما يعد ذكره منافيا للآداب العامة وهو من الناحية الأخلاقية أولى بأن يعتبر من أن ينشر، قال أبو نؤاس:

ما ضر من برح بي حبه ... اذا أمر لو عرج أو سلما
لما استبانت مقلتي وجهه ... لم تملك الدمعة أن تسجما
منتقب بالحسن ذو نخوة ... يستمطر العين هواه دما

وقال ابن المعتز:

أرد الطرف من حذري عليه ... واستحمه التجنب والصدودا
وارصد غفلة الرقباء عنه ... لتسرق مقلتي نظرا جديدا

٤. **ومنها في الحكمة والموعظة والزهد:** كما في شعر أبي العتاهية وصالح بن عبد القدوس وأبي تمام، قال أبو العتاهية في التزهد في الدنيا:

بدوا للموت وأنبوا للخراب ... فكلكم يصير الى تباب
لمن نبني ونحن الى تواب ... نصير كما خلقنا من تراب
ألا يا موت لم أر منك بدا ... أتيت وما نحيفه وما تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي ... كما هجم المشيب على الشباب

٥. **ومنها شعر القصص والحكايات المروية على السن الطير والبهائم:** كنظم كتاب (كليلة ودمنة) شعرا لابان بن عبد الحميد اللاحقي وقد نظمه لأبناء البرامكة.

٦. **العصبية:** ومنها اثارة العصبية وقد تحولت في هذا العصر الى أشكال اختلفت عما كانت عليه في العصر السابق فبعد أن كانت في العصر الأموي عصبية فعلية تحولت في هذا العصر الى عصبية سياسية وعصبية طائفية فالشعراء الموالون لبني العباس والخلافة العباسية يرون أن بني العباس أحق بالخلافة ووراثة النبي صلى الله عليه وسلم من العلويين لاتصالهم به عن طريق العمومة بعمة العباس ابن عبد المطلب وهي مقدمة على بنوة البنات أما الشعراء الموالون للعلويين فانهم يرون العلويين أحق بالخلافة ووراثة النبي صلى الله عليه وسلم اذ في هذا الولاء حفظ ما يروي من وصية الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الغدير في الامام علي رضي الله عنه بقوله "اللهم وآل من والاه وأخذل من خذله".

٧. **الرثاء:** وهو أحد أغراض الشعر المهمة في هذا العصر ويقسم الى قسمين: قسم يبدو عليه طابع التكلف وهو الذي نظمه الشعراء وهم يطمعون في جوائز على المتوفى وهو ناتج عن عاطفة غير صادقة، أما القسم الاخر فهو رثاء صادر عن عاطفة صادقة كالذي نظمه عند أبي تمام في رثاء الفارس الشجاع محمد بن حميد الطوسي الذي كان يقاتل بابك الخرمي في خراسان فسقط شهيدا فرثاه بقصيدة رائعة يقول بها:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الامال بعد محمد ... وأصبح في شغل من السفر السفر

وما كان الامال من مل ما له ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

وكرثاء ابن الرومي لابنه الأوسط الذي توفي صغيرًا فرثاه بقصيدة مؤثرة يقول فيها مخاطبا عينيه:

بكاؤكما يشفي وان كان لا يجدي ... نجودا فقد أورى نظيركما عندي

توخى حمام الموت أوسط صبيتي ... فلله كيف اختار واسطة العقد

طواه الردى عني فأضحى مزاره ... بعيدا على قرب قريبا على بعد

أبو تمام (ت ٢٣٢ هجري)

هو حبيب بن أوس الطائي ولد بقرية بقرب دمشق وقد تعددت الروايات في سنة ولادته فقيل سنة ١٧٢ هجري وقيل سنة ١٨٨ هجري وقيل سنة ١٩٢ هجري، والآراء متضاربة في صحة نسبه من طي فقد هجاه بعض معاصريه بأنه نبطي، وزعم قوم أن أباه كان نصرانيا يسمى تدوس وأنه حرفه الى أوس وانتسب في طي، ونصرانية أبيه – ان صحت – لا تنفيه من العرب ولا من طي فقد كانت النصرانية شائعة فيها في القدم، وجمهور من ترجموا له من الثقات يذهبون الى أنه طائي صليبية ويشهد لذلك فخره المضطرم بطي وأنه اختار منها أكثر ممدوحيه.

ويبدو أن أبا تمام حبيب بن أوس أراد أن يبتعد عن أهله الذين ظلوا على النصرانية فغادر دمشق الى حمص واتصل بأسرة عتيبة بن عبد الكريم الطائي فمدحها وانتسب اليها بالولاء، فعرف في ذلك الحين باسم أبي تمام الطائي ولقي أبو تمام في حمص ديك الجن الشاعر وأخذ عنه الجودة في الرثاء والتشيع.

وفي سنة ٢٠٨ هجري رحل أبو تمام الى مصر طلبا للتكسب فجعل يسقي الماء في المسجد الجامع – مسجد عمرو – ويستمع الى ما يلقى في حلقاته من امالي العلم والأدب وفي هذه الأثناء بدأ أبو تمام حياته الشعرية فمدح عياش بن لهيعة الحضرمي ولكن لم يجد منه الا مطلا فأخذ بهجوه ثم اضطرب أمر مصر بنشوب العصيان فيها منذ سنة ٢١٠ هجري فعاد أبو تمام الى الشام سنة ٢١٤ هجري وفي العام التالي مر المأمون بدمشق آيبا من غزو الروم فتعرض له أبو تمام بالمديح ولكنه أعرضه عنه ووبخه على ميله للعلويين.

وفي سنة ٢١٨ هجري توفي المأمون وخلفه أخوه المعتصم وكان نجم أبي تمام قد بزغ وقصائده قد كثرت فاستدعاه المعتصم ومكث أبو تمام مدة يسيرة في بغداد وثم قصد خراسان يمدح واليها عبد الله بن طاهر ، وفي خراسان اتصل أبو تمام بالقادة أبي دلف العجلي وحيدر بن كاوس

الأفشين وأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ولما تغلب عبد الله بن طاهر على بابك الخرمي في سنة ٢٢٢هجري وقدم به أسيرا على المعتصم في سامراء عاد أبو تمام معه فوصلوا اليها ، لكنه في صفر سنة ٢٢٣هجري وقد رافق أبو تمام المعتصم الى غزوة عمورية في منتصف سنة ٢٢٣هجري.

علا نجم أبي تمام بعد ذلك وعني به الحسن بن وهب رئيس ديوان الرسائل وأراد أن يوفر عليه شيئا من التطواف فولاه بريد الموصل ثم ان أبا تمام توفي بعد ذلك بنحو عامين أو ثلاثة سنة (٢٣٢هجري – ٨٤٦هجري) في الأغلب وقبره في الموصل.

شعره: شعر أبي تمام جزل الألفاظ متين التراكيب يتكلف الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية مولع بالاغراب في تقصي أوجه المعاني وفي التشابه والاستعارات يملأ شعره بالاشارات التاريخية والفلسفة والنحوية، ومعانيه المخترعة كثيرة وفنون أبي تمام البارعة الرثاء ثم المديح وله حكم كثيرة منثورة في ثنايا القصائد ولأبي تمام وصف وعتاب وهجاء ولكنها لا تداني شعره في الرثاء ولا في المديح، وكان أبو تمام يجيد المدائح والمراثي في الأشخاص الذين كانوا له أصدقاء كبني حميد الطوسي أو الذين كان معجبا بهم لما قاموا به في سبيل العروبة والاسلام كالمعتصم.

كان محمد بن حميد الطوسي يقاتل بابك الخرمي في جبال البد (خراسان) فكر عليه رجال بابك فانهزم من كان معه فثبت هو ما أمكن الثبات ثم سار يطلب الخلاص فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه، فلما رأه الخرمية قصدوه لما رأوا عليه من حسن هيئة فقاتلهم وضربوا سيفه ثم أكبوا عليه فقتلوه فقال أبو تمام يرثيه:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان الآمال من قل ماله ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

وما كان يدري مجتدي جود كفه ... اذا ما استهلت أنه خلق العسر

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فتى مات بين الطغى والضرب ميتة ... تقدم مقام النصر ان فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوق الموت سهلا فرده ... اليه الحفاظ المر والحلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الردع أو دونه الكفر

فاثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها:" من تحت أخمصك الحشر"

فتح عمورية

خرج توفيل (ثيو فيلوس) امبراطور الروم الى وتطبرة وهي بلدة ولد فيها المعتصم وقيل بل ولدت أمه فيها وسبى من أهلها وارتكب فظائع هائلة ورووا أن امرأة هاشمية صرخت لما وقعت في السبي : وامعتصماه! ، اتصل خبر ذلك بالمعتصم فتجهز أعظم جهاز وقصد عمورية (منشأ الأسرة الرومية المالكة الأسرة العمورية) التي ينتسب اليها توفيل ، (رمضان ٢٢هجري = صيف٨٣٨م) فتركها قاعا صفصفا وكان أبو تمام مع المعتصم فلما عاد المعتصم الى عاصمته سامراء سنة ٢٢٤هجري أنشده أبو تمام هذه القصيدة:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب ١

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب ٢

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب ٣

أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

مخرصا وأحاديثا ملفقة ... ليست بنبع اذا عدت ولا غرب ٤

عجائبا زعموا الأيام مجفلة ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب

وخوفوا الناس من دهباء مظلمة ... اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب ٥

١. في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والهزل (الحق والباطل) كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب على ما تقول النجوم.
٢. الحديد المصقول (السيوف، الحرب، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب.
٣. المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) اذا التقى الخميسان (الجيشان) لا بد من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة [الكواكب السبعة السيارة (أي من فن التنجيم الخرافي)].
٤. التخرص: الكذب، النبع: شجر تصنع من أغصانه الرماح، الغرب: شجر آخر ، ان الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرماح ولا خشب يستعمل لأمور أخرى).
٥. دهباء: مصيبة، الكوكب الغربي ذو الذنب: قال ابن الأثير وفيها (في سنة ٢٢٢هجري =٨٣٧م) ظهر من يسار القبلة كوكب له شبه الذنب وكان طويلا جدا فهال الناس ذلك ،وهذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي يظهر في سمائنا كل ٧٦سنة.

فتح الفتوح تعالى ان تحيط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلا معسولة الحلب ١
أبقيت جد بني الاسلام في صعد ... والمشركين ودار الشرك في ضبب ٢
لقد تركت أمير المؤمنين بها ... للنار يوما ذليل الصخر والخشب ٣
غادرت فيها بهيم الليل وهو مضحى ... يشله وسطها صبح من اللهب ٤
حتى كان جلابيب الدجى رغبت ... عن لونها أو كان الشمس لم تغب ٥
ضوء من النار والظلماء عاكفة ... وظلمة من دخان في ضحى شحب ٦
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت ... والشمس واجبة في ذا ولم تجب ٧
تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتغب في الله مرتغب ٨
البيت صوتا زيطربا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب ٩

١. حفل: حافلة مزدحمة مملوءة، معسولة الحلب: لبنها حلو الطعم –رجع الجيش الاسلامي من معركة عمورية منصورا محققا أمانيه (شبه الأماني بضروع الناقة المملوءة باللبن الحلو الطعم)،
٢. في صبيب: في انحدار (حزن).
٣. لقد كثرت النار التي أوقدها المسلمون لاحراق البلد واشتدت تلك النار حتى اخترقت الصخور والخشب.
٤. يشله: يطرده، كان ضوء النار يبدد ظلام في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين.
٥. جلابيب: جمع جلباب وهو الثوب، رغب عن الشيء: تركه وكرهه، كأن السواد لم يبق لونا لليل.
٦. عاكفة: نازلة دائمة (الوقت ليل)، شحب: متغير اللون أو قليل اللون(يخالطه بياض أو صفرة).
٧. أفلت: غربت، واجبة غاربة، ان اشتعال النار في الليل يوهمنا أن الشمس طالعة وأن كثرة الدخان في النهار توهمنا أن الشمس غائبة.
٨. ان الخليفة المعتصم معتصم بالله (متكل فيما يعمل على الله) منتقم لله (قد غزا الروم لأنهم نكثوا عهد الله بالسلام)، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف أوامر الله في شيء)، مرتغب: راغب(في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفيما يقربه الى الله.
٩. هرق: سكب (تخلى عن)، الكبرى: النوم، المرضاب: الريق، الخرد: جمع خريدة وهي المرأة الجميلة ، الغرب: جمع غريب وهي المرأة المتحببة الى زوجها، تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة المظلومين.

الباب الثاني

مقدمة في الحياة الادبية في الاندلس

ينبغي لمن يتصدى لدراسة الحياة الادبية في الاندلس ، ان يلم بشيء من طبيعة هذه البلاد وحياتها الاجتماعية وعناصرها البشرية والمرحلة التاريخية التي مرت بها خلال ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، لان جميع هذه المكونات الثقافية والطبيعية بما فيها البيئة والمناخ ، قد تركت بصماتها واضحة على كل عمل ادبي ، نثري او شعري ، فكانت ملامح الحياة الاندلسية المتأثرة بجمال الطبيعة واعتدال المناخ وتعدد الاجناس واللقوميات واختلاف الاهواء والاذواق والمذاهب قد تعاونت بفضل عبقرية اللغة العربية وشمولية ثقافتها الاصلية ، فخلقت ادبا متميزا فذا لم يزل خالدا مع مر العصور والازمان .

وليس ضروريا ان نحدد لك على وجه الدقة ماذا تعني لفظة الاندلس وما حدود اراضيها ، لكننا نذكر بان ما يعرف اليوم باسبانيا والبرتغال هي التي كانت تدعى ببلاد الأندلس على وجه العموم والشمول ، وقد بقيت هذه التسمية تطلق الى اليوم على ما يعرف بغرناطة وقرطبة واشبيلية حاليا .

اما لفظة «الأندلس» تنسبها فقد تقبلها العرب واصطلحوا على اطلاقها لتكون اسما لوطنهم الجديد فلقي الاسم قبولا من جميع العالم يومذاك، وليس لدى العلماء وضوح تام لأصل هذه التسمية ، وإن كان اقوى الاراء يؤيد بان التسمية لاتتجاوز اسم « جماعات القندالين » القادمين من اسبانيا في صورة غزاة مهاجمين وهم في طريقهم الى

شمال افريقيا ،اذ يقال ان هؤلاء ، عند اجتيازهم مضيق جبل طارق ، اطلقوا على المرفأ الذي أبحروا منه اسم « فندلس » فاحتفظ المرفأ باسمه الى ان جاء العرب المسلمون فاطلقوا الاسم على كل البلاد التي تحيط بتلك الاصقاع • على ان هناك بعض الاراء الاخرى في اسباب اسم (الاندلس) لكن الرأي الذي سقناه هو اقوى هذه الآراء •

وقبل العرب المسلمين لم تعرف الاندلس فاتحا رحمها وعمل من أجل أبنائها وتقدمها وانما كانت موجة « الرومان » وبعدهم «القوط» من اتعس ماعرفت الاندلس من موجات الغزو والاحتلال، حتى جاء الفتح العربي ، فانتعشت جميع الطبقات الشعبية بمختلف عناصرها ، وتألقت بلاد الاندلس حتى بلغت حضارتها مستوى حضارة العرب المسلمين في المشرق ، وفي بغداد نفسها •

لقد تنبه القائد العربي موسى بن نصير الى قسوة الحياة التي يعيشها سكان هذه البلاد ، فاستأذن رئيسه الاعلى الخليفة الاموي في الشام الوليد عبد الملك ليأذن له في تحرير هذه الارض من وطأة ظلم القوط وملكهم لوذريق فاستعان ابن نصير ببقايا الرومان واميرهم (يليان) احد عمال الروم في مدينة (سبتة) باقاصي شمال المغرب،فكتب الى موس بن نصير يصور له شدة الغليان الشعبي ضد القوط وملكهم لوذريق الذي لاهم له سوى مضاعفة الضرائب على طبقات الشعب والانغماس في الترف والملذات،وجعل يزين له فتح الاندلس وتخليص الناس من الظلم والجهل والفساد ، ويصف له خصب تربتها وكثرة كنوزها ، راسما له طريق النصر المؤكد لأن الناس انفضوا عن (لوذريق) الذي غدر بالملك (غيطشه) واغتصب منه عرشه • ولانريد ان ندخل في دقائق هذا التاريخ ، لكننا نعرف

الذين بعثهم أمثال طريف بن مالك الحنفي الذي نزل جزيرة الفندال اصل اشتقاق اسم الاندلس، ثم عرفت الجزيرة باسم القائد (طريف) فيما بعد . ثم القائد طارق بن زياد الذي عبر المضيق وعرف باسمه ، وكانت على يديه ابرز حروب التحرير العربية في هذا الموضع ، ثم لم يلبث القائد الكبير موسى بن نصير ان دخل الاندلس بنفسه وحرر أجزاء أخر لم تصل اليها رايات طارق بن زياد وذلك في عام (٩٣هـ) لكن القائد موسى بن نصير لم يلبث ان استدعي من الخليفة العربي في الشام فولى ابنه عبد العزيز ، وعاد مع طارق بن زياد قاصدين الشرق ، فكانت بداية عهد الولاية في الاندلس امتد من (٩٣هـ) حتى (١٣٨هـ) وفي هذه المدّة كانت محاولة العرب الكبرى في اقتحام معاقل الفرنجة بعد ان عبروا نهر (الرون) واجتاحوا مدينة «ليون» ودقوا ابواب مدينة « تور » واوشكوا على عبور نهر «اللوار» لكن نهض لملاقاتهم «شارل مارتل» بجموع عظيمة من الفرنجة فالتقوا في سهل «بوانيه» فكانت وقعة بلاط الشهداء التي أبلى فيها قائد العرب عبدالرحمن الغافقي والي الاندلس حتى استشهد وذلك في سنة (١١٢هـ) ، (٧٣٢م) .

وعندما تداعت اركان الدولة العربية في الشام تحت ضربات العباسيين في العراق استطاع احد ابناء الخلفاء الامويين: عبدالرحمن بن معاويه بن هشام بن مروان ان ينجو باعجوبة من فتك العباسيين، فاجتاز صحابا عظيمة حتى بلغ المغرب ثم دخل الاندلس ، وكان فيها واليان يتصارعان على السلطة هما «العميل» و «يوسف الفهري» فانتزع عبدالرحمن الذي عرف بالداخل ، السلطة من ايديهما باسم دولة المرابطين . وهي طائفة انحدرت من افريقيا عام (٤٨٨هـ) ثم انحدرت طائفة اخرى عرفت بالموحدين من اصحاب ابن تومرت في (٥٢٤هـ) حكموا مائة وثلاثين عاما ، ثم استطاع بنو الاحمر ان يؤسسوا دولتهم في غرناطة التي عرفت بالاندلس الصغرى فمكثوا فيها حتى اخر ملوكهم ابي عبدالله محمد بن محمد المخلوع الملقب بالصغير ، سلم مفاتيح الاندلس الى الغالبيين في سنة (٨٩٨هـ ـ ١٤٩٢م) لتغرب شمس الحضارة عن هذه الأرض وتبدأ مباشرة عمليات الغدر بالمواطنين ومحاكم التفتيش فكتب عن تلك الفواجع قصص لم تزل ترويها الاجيال الى اليوم .

ابن زيدون

قال ابن زيدون ، وهو في ناحية الزهراء من قرطبة ، بعد هروبه من السجن ، يتشوق الى حبيبته ويناجيها :

إنّي ذكرتُكِ بالزهراءِ مشتاقا
والافقُ طلْقٌ ومَرأى الأرضِ قد راقا

وللنسيم اعتلالٌ في أصائلِهِ
كأنّهُ رقّ لي فاعتلّ إشفاقا

والروضُ عن مائهِ الغضي مبتسمٌ
كما شققتَ عن اللبّاتِ أطواقا(٢)

يومٌ كأيامِ لذاتٍ لنا انصرَمَتْ(٣)
بتْنا لها حين نامَ الدهرُ سُرّاقا

نلهو بما يستميلُ العينَ من زهرٍ
جالَ الندى فيه حتى مالَ أعناقا

كأنّ اعينَهُ اذ عاينَتْهُ أرقي
بكَتْ لما بي فجالَ الدمعُ رقراقا

وردٌ تألق في ضاحي منابتِهِ(٤)
فازدادَ منه الضحى في العين اشراقا

سرى ينافحُهُ نيلوفرٌ عَبِقٌ(٥)
وسنانُ نبّهَ منه الصبحُ أحداقا

كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا
إليك لم يعدُ عنها الصدر إنْ ضاقا

لاسكّنَ اللهُ قلباً عنّ ذكرُكُمِ(٦)
فلم يطرْ بجناحِ الشوقِ خفاقا

لو شاء حملي نسيمُ الصبحِ حين سرَى
وافاكم بفتىً أضناه مالاقى
لو كانَ وفّى المنى في جمعنا بكم
لكانَ من اكرمِ الايامِ اخلاقا
ياعِلْقيَ الاخطر الاسنى[٧] الحبيب الى
نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التّجاري[٨] بمحض الود مُذ زمن
ميدان انس جرينا فيه اطلاقا
فالان احمد ما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

اللغة :

١ ـ راق : اعجب ٠
٢ ـ اللبات جمع لبة وهو موضع القلادة من الصدر ٠ والأطواق جمع طوق وهو ما يحيط بالعنق من الثوب ، والطوق ايضا من الحلي ، وشقت : فتحت ٠
٣ ـ انصرمت : مضت ٠
٤ ـ ضاحي منابته : أي مواضعه الظاهرة للشمس ، المنابت
٥ ـ ينافحه : يدافعه ويقاومه ٠ نيلوفر ، نبات مائي على السطح له زهر يتفتح في النهار وينام في الليل ٠
٦ ـ عنّ ذكركم : خطر ذكركم على البال ٠
٧ ـ العلق : الشيء النفيس يتخذ علقاً او قلادة ٠ الاخطر : الاعظم ذو الشان والقيمة ٠ الاسنى : الاكثر سناء ٠
٨ ـ التجاري : التسابق ٠ اطلاق جمع طلق وهو الشوط في السباق ٠

ابن زيدون : (٣٩٤ ـ ٤٦٣هـ) ٠

هو أبو الوليد احمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي القرطبي كان ابوه قاضيا وجيها غزير العلم والادب ، فلما توفاه الله ، كان ابن زيدون في الحادية عشرة من عمره وقد توافرت لابن زيدون احوال الحياة الكاملة من العلم والمال والشباب والجاه الاجتماعي والنفوذ السياسي ٠ وقد كانت الخلافة الاندلسية مؤذنة بالزوال ٠ وبظهور ملوك الطوائف وذلك بعد الفتن العديدة التي انتشرت في البلاد ، وبوجه خاص : قرطبة ، ولما نجح الخواص والاشراف يقودهم ابو الحزم بن جهور في عام (٤٢٢هـ) فاسسوا الدولة الجهورية ، كان ابن زيدون في عنفوان شبابه لم يجاوز الثامنة والعشرين ، فلقي المكانه العظيمة لديهم وعاش أياماً حافلة بالعلم والادب والاجتماع والسياسة ٠ وكان ابن زيدون قد بلغ النضج بعد طول درس ومتابعة على يد اساتذة عصره ، فتثقف بعلوم العرب وفنونهم وادابهم ٠ فضلا عن الثقافة اليونانية والاغريقية كما تشير الى ذلك رسائله الادبية ٠

لكن عصر ابن زيدون كان حافلا بضروب الفتن والاضطرابات لم يسلم من لهيبها أحد ، فلحق ابن زيدون أذىً كثير وعناء كبير ودخل السجن وعرف التشرد والضياع والاختفاء حين فر من سجنه في أقسى الاحوال مضطراً ٠ وابرز احداث حياته ، حبه لولادة بنت الخليفة المستكفي بالله الذي جاء قبل المعتمد بالله ، اخر خلفاء بني امية قبل حلول عصر الطوائف ، بويع للخلافة سنة (٤١٤هـ) وأقصي عنها بعد سنتين بسبب الفتن التي أشرنا اليها من قبل . . فلما مات والدها ، كانت ولادة

في ريعان الصبا ، في العشرين او اقل او اكثر بقليل جدا ، وكان أبوها قد أحضر لها المؤدبين والمعلمين فخرجت كأحسن ما تكون النساء علماً وأدباً وعقلاً . كان لها منتدى أدبي يحضره العلماء والادباء وجميع المثقفين . فكان ابن زيدون اذكى الحضور وأغزرهم إطلاعا على فروع المعرفة ، وكان يتفوق عليهم جميعا بموهبته الشعرية والادبية ، فكانت ولادة توليه كثيرا من اعجابها واهتمامها ، فترك هذا التفوق وهذا الاعجاب من ولادة اثرا سيئا في نفوس أقرانه وأدباء عصره . وبالأخص الوزير أبي عامر بن عبدوس ، فبدأ الخصوم يكيدون له المكائد ويرسمون له سبل الهلاك حتى استطاعوا ان يدخلوه السجن بتهم ملفقة افتعلوها واوغروا عليه صدر الامير ابي الحزم بن جهور فتخلى عنه بعد تعلق وحب كبيرين ، فلم يناصره ولا استمع إلى شكواه واستعطافه مما اضطره الى الفرار من السجن في نحو عام (٤٣٣هـ) قاصداً اشبيلية في حماية أميرها ، المعتضد بن عبّاد ، فقرّبه وغمره بعطفه ومن هناك كتب قصيدته الخالدة :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا
ونأب عن طيب لقيانا تجافينا

لكن الشاعر عاد الى قرطبة سرا ، واختفى في «الزهراء» احدى ضواحيها الجميلة ، وظل في مخبئه يراسل اعوانه حتى نجح في الحصول على الشفاعة ، ثم صادف أن اعتلى الحكم الوليد بن أبي الحزم بن جهور ، وكان من اصدقاء الشاعر ، فاعاده الى سابق عهده وزيرا ومستشاراً ووجيهاً من أكبر وجهاء قرطبة إلا أن الزمن يأبى الا ان يقلب له ظهر المجن فرحل متقلبا في البلاد، هارباً من شرور البلاء التي يكيدها له الاعداء ، قاصدا الامراء حتى لجأ ثانية الى بني

عباد في ضيافة ملكها المعتضد بن عباد سنة (٤٤١هـ) في اشبيلية ، لكن الشاعر بقي في جميع رحلاته مخلصا لولادة ، يبعث اليها بشعر الحنين والشوق من منافيه البعيدة ، وفي الوقت نفسه بقي وزيراً وشاعرا للمعتضد الذي كان بلاطه اشبه ببلاط الملك العربي النعمان بن المنذر أو عبدالملك بن مروان أو هارون الرشيد بكثرة علمائه وادبائه ، ولما توفي الملك المعتضد خلفه المعتمد ، فحاول الخصوم والحاسدون هنا ايضا الايقاع به لكن الملك المعتمد لم يعرهم سمعا ، وظل ابن زيدون اثيرا عنده .

ثم شاءت الاحوال أن يحيق الاعداء بقرطبة ، فسمع ابن زيدون بذلك ، فنهض يدفعه وفاؤه لمدينته وذكرى ولادة ، فجعل يحث الملك المعتمد كي يناصر أهالي قرطبة ويساندها بجيشه وتنجح اشبيلية في إنقاذ قرطبة وتثور اشبيلية في وجه الدولة الجهورية ، فيصبح بنو عباد حكاماً عليها ويضمونها الى اشبيلية ، وهكذا يعود ابن زيدون الى وطنه ، لكن سخرية القدر اقوى في هذه المرة فلم يلبث ابن زيدون ان مرض مرضا شديداً لم يمهله الا قليلا فمات في قرطبة مسقط رأسه سنة (٤٦٣هـ) دون ان نعرف شيئا عن اخر اخباره مع ولادة التي يبدو من استقراء الاحداث انها اعرضت عنه ولم تلتفت اليه .

اثار ابن زيدون

ترك ابن زيدون ديوانا فيه غرر شعره ، نشر غير مرة في القاهرة وبيروت ، وله رسالتان الاولى : الرسالة الهزلية ، طبعت مع ترجمة الى اللاتينية في مدينة ليبسك في سنة (١٧٥٥م) أول مرة ثم توالت طبعاتها في أوربا والقاهرة وشرحت غير مرة ، شرحها ابن نباتة المصري المتوفى سنة (٧٦٨هـ)

بعنوان سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)، وهي رسالة احتوت على فنون الاساليب العربية والثقافات العديدة والاطلاع الواسع في حقول المعرفة كتبها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي تهزأ بها من خصمه الوزير ابي عامر بن عبدوس • اما الرسالة الثانية فهي : الرسالة الجدية ، شرحها الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ) وطبعت مرات عدة ، من بينها طبعة بغداد في سنة (١٣٢٧هـ) تحت عنوان(الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون)• وهي شكوى واستعطاف لابي الحزم بن جهور ، ملك قرطبة ليطلقه من السجن وهي كسابقتها ، ظهرت فيها ثقافة ابن زيدون العربية الأصيلة الى جانب اطلاعه على الاداب والثقافات الاجنبية •

التعليق النقدي :

كتب ابن زيدون هذه القصيدة بعد خروجه من السجن وقبل صدور العفو عنه ، وكان مختفيا في ضاحية من قرطبة تدعى الزهراء ، فجعل يتشوق الى لقاء احبابه ورفاقه قبل ان يتشوق الى رؤية أمر العفو عنه • كأنما يريد ان يؤكد لنا أنّ جزعه في سجنه انما بسبب اشتياقه الى هؤلاء الاحباب وعلى راسهم ولادة ، فكانت مناجاته لها هنا ولهفته مشوبه بكثير من القلق ، فجعل النسيم يعتل اشفاقا ، واعين الزهر الندية ينهمر منها الدمع رقراقا اسفا عليه • فهو بالزهراء قريب منهم ، لكنه في اختفائه وقدومه سرأ نحوهم ، أحسّ أنه بعيد عنهم ، وما احسن تعليق الفتح بن خاقان في كتابه «قلائد العقبان» على هذه القصيدة حيث يقول : «فلما حل بذلك القرب برؤية ما فيها ، فوافاها الربيع قد خلع عليها برده ، ونشر سوسنه ووردة ، وأترع جداولها ، وانطق

بلابلها ٠٠ فتشوق الى ولادة وحن ، وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه ، وضيق امره وطلقه ، ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده» ٠

وجاء في تعليق الدكتور سيد نوفل على القصيدة في كتابه ٠ شعر الطبيعة في الادب العربي : «انها قصيدة تموج فيها عاطفتان : عاطفة الماضي الجميل تكسبه الطبيعة الحلوة مزيداً من الحسن وعاطفة الحاضر المحروم يكسو الطبيعة ثوباً من القتامة والكآبة والشاعر اذا تحدث عن الماضي ابتسمت الطبيعة من طلاقة الافق وصفاء وجه الارض وابتسام الروض وطرب الزهر وتألق الورد وإشراق الضحى ، واذا تحدث عن الحاضر له في اعتلال النسيم واشفاقه ، وبكاء الزهر ، وجولان دمعه الرقراق ، ونعاس النيلوفر ، وبذلك يبدو اشتباك الطبيعة مع عواطف الشاعر التي يذكيها جو الذكرى باعثا في النفس لحنا من الاسى والاشفاق والصدى العميق» ٠

ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه ابن زيدون «كان يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة أو الموروثة في عملة اندلسية جديدة فيها الفن وبهجة الشعر ، وما يفصح عن اصالته وشخصيته ٠٠ وابن زيدون من خير النماذج التي تكشف المنزعين. فهو لايخرج في شعره عن القواعد الموروثة ، وفي الوقت نفسه ينبض شعره بحياة عصره ، وما كان فيه من حضارة وترف باذخ وإغراق في الحس والخمر واللذة ٠ فاتصاله بالماضي لم يحل بينه وبين التصوير الحاضر الذي عاش فيه ٠ ويقول الدكتور جودة الركابي في كتابه «في الادب الاندلسي» : ونكاد ، بعد ان علمنا قصة حياة الشاعر ، نستطيع ان نميز اطوار هذا الشعر فقدعلمنا

حبـــه لولادة ثم هجرها له ثم يأسه منها وحنينه الدائم لها ، وقـد جاء شعره ممثلا لهذه الاطوار » .

ونخلص من هذه التعليقات الى نتيجة هي جوهر ما نستطيع ان نقف عليه في شعر ابن زيدون الذي تمثل فيه عموم شعر المرحلة الاندلسية ، في عصر ملوك الطوائف « انه مهرجانات ربيع وحب وطبيعة ساحرة ، تتخللها عواطف واحاسيس انسانية سامية ، تشوبها احيانا منغصات لاتخلو منها الحياة لكن الشاعر وهو في حرمانه أو تشرده أو نفيه أو قمة أحزانه لاينسى خصائص شعره الاساسية واستخدام في الطبيعة من زهر وسماء ونجوم ، ومن بين الناس من حبيب ونديم وصديق قريب الى النفس والقلب، فان كان باكيا ابكى كل هذه الظواهر معه ، وإن ضحك اضحكها معه .

المناقشة :

١ ـ تضافرت أحوال متعددة في خلق شخصية ابن زيدون منذ طفولته حتى دخوله الاوساط الرسمية السامية ، اذكرها ، واذكر الاحوال الاخرى التي عملت على تشريده .

٢ ـ كان ابن زيدون فنانا بارعا في شعره ، يحسن استخدام مظاهر الكون والطبيعة والحياة ، سواء أمسروراً كان ام حزينا . ناقش هذه المقولة في ضوء تعليقات النقاد عليها .

٣ ـ انشد مع الضبط بالشكل ، عشرة ابيات من شعر ابن زيدون وانثرها ، وعلق عليها .

وقال ابن زيدون في الذكرى والشوق والحنين :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحُنا
شوقا اليكم ، ولا جفّت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرُنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لفقدكم أيامنا فغَدَتْ
سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناً
إذ جانب العيش طَلْقٌ من تألّفنا
ومَرْبَعُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ همرنا غصونَ الوصل دانيةً
قطوفُها فجنينا منه ما شينا
ليُسْقَ عهدُكم عهدُ السرور فما
كنتم لأرواحنا الا رياحينا
لاتحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا
إن طالما غيّرَ النأي المُحبّينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلاً
منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
ياساريَ البرقِ غادِ القصر واسقِ به
من كان صرفَ الهوى والوِدَّ يسقينا
واسأل هنالك هل عنّي تذكّرنا
إلفا تذكّرُهُ أمسى يعنّينا
ويانسيم الصّبا بلّغ تحيتنا
من لو على البعد حيّا كاد يُحيينا
كأننا لم نَبِتْ والوصل ثالثنا
والسعد قد غضّ من أجفانِ واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكادَ لسانُ الصبح يُفشينا

ـ الديوان ـ

٥- البيان والتبيين للجاحظ

يُعَدُّ كتابُ البيان والتبيين من أمّهات مصادر الأدب العربي التي تركها لنا الأقدمون لننهل منها تراثنا العربي الأصيل ، فهذه الكتب تعدُّ بحق كتباً مهمّة ، وذلك لمنزلتها في حفظ اللغة العربية التي إختارها الله جل وعلا لتكونَ لغة أعظم كتاب أنزله على صَفْوةِ أنبيائه ، وهو القرآن الكريم ، ولأجل أن تتم الفائدة لا بأس أن نُعطيَ فكرة عن الأدب العربي قبل الخوض في التعريف بكتاب البيان والتبيين للجاحظ فنقول :

* التعريف اللغوي للأدب :

أدب : الأدَبُ : الذي يَتَأدَّبُ به الأديبُ من الناس ، سُمِّيَ أدَباً لأنه يَأدِبُ الناسَ إلى المحامِدِ ، وَيَنْهاهم عن المقابح . وأصل الأدبِ الدُّعاءُ ، ومنه قيل للصَّنِيع يُدْعَى إليه الناسُ : مَدْعاةٌ ومَأدُبَةٌ .... (الأدبُ) أدَبُ النَّفْس والدَّرْس . والأدبُ : الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُل . وأدُبَ ، بالضم ، فهو أديبٌ ، من قوم أدَباءَ[١] .

* التعريف الاصطلاحي للأدب :

١ ــ عرفه ابن خلدون بقوله : " وإنّما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور ، على أساليب العرب ومناحيهم "[٢].

٢ ــ وعرفه حسين : بأنّه : مأثور الكلام نظما ونثرا ، وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهمه من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى[٣] .

فمن التعريفين الاصطلاحيين اللذين تقدما نعلم أنّ الأدب هو كل ما يتصل بالكلام العربي المنظوم منه والمنثور ، من انتقاءٍ للمفردات ، أو فهمها ، أو تذوّقها . ولذلك فان الأدب العربي يُعَدُّ المُنْطلقَ لفهم اللغة العربية وتذوّقها وإستعمالها النموذجي . ولأجل ذلك لا بأس أنْ نتعرّف بعض المسائل التي تُعد مدخلا لفهم النصوص الأدبية ، وتذوّقها تذوّقا قائما على أسس سليمة ، والتي من شأنها

١- ابن منظور ، ١٩٩٧ ، ج ١ ، ص ٥٠
٢- ابن خلدون ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٠٥ .
٣- حسين ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٨ .

أن تؤدي بالطالب إلى الانفتاح على الأفق الواسع للأدب العربي ، ومن هذه المسائل :

١ــ موضوع الأدب : موضوعه هو الكلام المنظوم والمنثور من حيثُ فصاحته وبلاغته .

٢ــ غايته : غاية الأدب هي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيب العقل ، وتذكية الجنان .

٣ــ فائدته : فائدة الأدب هي : أنّه يعْصم صاحبَه من زلّة الجهل ، وأنّه يُروِّض الأخلاقَ ويُليّن الطبائع وأنّه يُعين على المروءة ، ويَنهض بالهمم إلى طلب المعالي والأمور الشريفة .

ــ وأركان الأدب أربعة هي :

الأول : قُوى العقل الغريزية ، وهي خمسة :

أ ــ **الذكاء** : هو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر ، وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حِدّة الفؤاد وسرعة الفطنة .

ب ــ **الخيال** : هو قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادّة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة .

ج ــ **الحافظة** : هي قوّة من شأنها خزن ما يُدركه العقل من المعاني فتذكّره عند الحاجة ولذلك سُمّيت ذاكرة .

د ــ **الحِسّ** : هو قوة يتأثّر بها الإنسان من صور المُدركات كاللذة والألم ، وهو من شروط الكتابة إذ يُعين الكاتب مما يُحدث فيه من التأثير في رسم صور المحسوسات رسماً مُحكماً فيُقتَدَر إذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب .

هـ ــ **الذوق** : هو قوّة غريزية لها إختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبترديد كلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطّن لخواص معانيه ، وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يُفسد الأخلاق والآداب .

الثاني : معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة ، وفيها تبيان طُـرق حـسن التأليف وضروب الإنشاء ، وفنون الخطابة . وتنقسمُ هذه الأصول إلى قسمين :

١ ــ عامة : كالتآليفِ الأدبية من منظوم ومنثور في أغراض شتى .

٢ ــ خاصة : كالتآليف المُفردة بالرسائل أو بالأمثال .

الثالث : مُطالعة تصانيفَ البُلغاء بالتّأني والتّبصّر فيها ، ليدّخر الكاتب كـلّ لفـظ مؤنق شريف وكلّ معنى بديع بحيث يتصرّف بهما عند الضرورة .

الرابع : الارتياض وهو التدرّب بوجوه الإنشاء بأن تتوسّـع فـي شـرح بعـض المعاني فتُبينه بأوْجه شتّى وتُنمّقه بأشكال البديع وبأن تجتهد في وضـع بعـض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصفَ مدينة أو مدحا أو تهنئة ، وأخرى تـسردُ أو تسبك رواية إلى غير ذلك ــ وان تحذو حذو المتقدمين في أوضاعهم باسـتعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تُحلّ النّظم فتأتي به نثراً أنيقا ...[١] .

*** تعريف الجاحظ:**

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ ، وبالحدْقيّ ، لجحوظ عينيه ، وبروز حدقتيه ، المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) وهو من أكبر أئمّة البيان في العربية ، وأغنى أبناء الأمة العربية في التصنيف والتأليف ، وحُبِّ الكتب . قال أبو هفـان الراوية الاخباري : " لم أرَ قط ، ولا سمعت مَنْ أحبَّ الكتب والعلوم أكثـر مـن الجاحظ ، فانّه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيه للنظر ، وشاء الله أن يكون موته بسقوط مجلدات العلم عليه . أمّا مؤلفات الجاحظ فكثيرة ومتنوعة ، أوصـلها بعضهم إلى (٣٦) كتابا ، وهو في جميع مصنفاته ذو منهج أصيل وثقافة واسعة وابتكار وطرافة وإبداع وأسلوب أدبي رفيع . وقد شهد بفضل مصنفاته كثير مـن العلماء ، قال المسعودي : " وكُتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضـح البرهان ؛ لأنّه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف ، وكساها مـن كلامـه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوّف ملل القارئ وسآمة السامع ، خرج من جدّ إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة ، وله كتب حِسان ، منها البيان والتبيين ، وهـو أشرفها ؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الأشعار ومُستحسن الأخبار ، وبليغ الخُطب ، ما لو اقتصر عليه لاكتفى ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليـين ،

١ـ الهاشمي ، بلاغة ، ج ١ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

والبخلاء ، وسائر كتبه في نهاية الكمال " عُرف أسلوبه بالاستطراد والتوسّع والفكاهة والهزل في بعض الأحيان مع تمثيل ثقافته الواسعة وتجسيد ثقافات عصره المختلفة . وقد أشار إلى بعض خصائص أسلوبه في كتاب الحيوان حين قال : "على أني قد عزمت ــ والله الموفق ــ أن أوشّح هذا الكتاب وأفصّل أبوابه ، بنوادر من ضروب الشعر ، وضروب الأحاديث ، ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ، فاني رأيت الأسماع تملّ الأصوات المطربة والأغاني الحسنة ، والأوتار الفصيحة ، إذا طال ذلك عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التي إذا طالت أورثت الغفلة "[1].

* تعريف كتاب البيان والتبيين

هو من تصنيف الجاحظ ، أهداه إلى القاضي احمد بن أبي دواد المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) . ألفه قبل كتاب الحيوان ، وهو من أفضل آثاره ، وأكثرها شيوعا وأعمقها تأثيرا في تفكير كتّاب العربية وأدبائها وتآليفهم ، وقد أثنى عليه القدامى وأشادوا به ؛ فقد فضّله أبو هلال العسكري على جميع كتب البلاغة والنقد . وكانوا يعدّونه واحدا من أربعة أصول علم الأدب . قال ابن خلدون : " وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن أربعة دواوين . هي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرّد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه فتبع لها وفروع عنها " . جعله الجاحظ في ثلاثة أجزاء متساوية تقريبا . أما موضوعاته فهي كثيرة جدّا ، أدرجها تحت عنوانات ، جاعلا بعضها بابا مستقلا محددا بكلمة (باب) ، وبعضها الآخر بدون هذه الكلمة . وبلغ عدد هذه العنوانات مائة ، مُقسّمة على الأبواب الآتية :

١ــ البيان والبلاغة ٢ ــ القواعد البلاغية ٣ ــ القول في مذهب الوسط في الكلام ٤ ــ الخطابة ٥ ــ الشعر ٦ ــ الأسجاع ٧ ــ نماذج من الوصايا والرسائل ٨ ــ طائفة من كلام النسّاك والقُصاص وأخبارهم ٩ ــ عرض لبعض كلام النوكى[2] والحمقى ونوادرهم ١٠ ــ ضروب من الاختيارات البلاغية .[3]

١ـ العاني والعدواني ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
٢ـ الأنوك هو الأحمق ، والعاجز الجاهل .
٣ـ العاني والعدواني ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

*** نص من كتاب البيان والتبيين للجاحظ:**

" وأحسنُ الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظِهِ ، وكان اللهُ عزّ وجلّ قد ألبسَه من الجلالةِ وغشاه من نور الحكمةِ على حسبِ نيـــةِ صاحبِه وتقوى قائلِه . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظُ بليغاً ، وكان صحيحَ الطبع ، بعيداً من الاستكراهِ ، ومُنزّهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلّفِ ، صـــنعَ فـــي القلبِ صنيعَ الغيثِ في التربةِ الكريمةِ . ومتى فُصلتْ الكلمةُ على هذه الشريطةِ ، ونَقدَتْ من قائلِها على هذه الصفةِ ، اصحبَها اللهُ من التوفيق ، ومنحَها من التأييدِ ما لا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبابرةِ ، ولا يـــذهلُ عـــن فهمِهـــا عـــقولُ الجَهَلة"[١] .

*** التحليل اللغوي :**

*** المعجم :**

١ــ **بليغاً** :(البلاغةُ) الفصاحة . والبَلْغُ و البِلْغُ : البَليغُ من الرجال . ورجلٌ بَلِيـــغٌ و بِلْغٌ : حسَن الكلام فصيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه ، والجمعُ بُلغاءُ ، وقد بَلُغَ ، بالضم ، بلاغة أي بَليغا . وقولٌ بليغٌ : بالغٌ وقد بَلَغَ[٢].

٢ ــ **التكلّف** : (تَكَلَّفَ) : تعرَّض لما لا يعنيه . و ــ الأمرَ تجشمه على مـــشقة . و ــ الشيءَ حمله على نفسه وليس من عادته[٣] .

٣ ــ **الغيث** : غَاثَ ــ غَيْثاً اللهُ البلادَ : أنزل بها الغَيْثَ و ــ الغَيْثُ الارضَ : نزل بها فغِيثت الارضُ وهي مَغِيثة ومَغْيُوثَة . تَغَيّثَ البعيرُ : سَمِنَ . الغَيْثُ ج غُيُـــوث وأغْياث : المطر . وربما سمّوا السحاب غيْثاً[٤] .

٤ ــ **يذهلُ** : قال الليث : الذَّهْل : ترككَ الشَّيء تَنَاساه على عمدٍ ، أو يَشْغَلك عنـــه شاغل[٥].

١ـ الجاحظ ، بلات ، ج ١ ، ص ٥٩ .
٢ـ ابن منظور ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .
٣ـ مصطفى وآخرون ، ١٩٨٩ ، ج ٢ ، ص ٧٩٥ .
٤ـ معلوف ، ١٤٢٩ ، ص ٥٦٣ .
٥ـ الأزهري ، ٢٠٠١ ، ج ٦ ، ص ١٤١ .

٧- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

تحدثنا في الموضوع السابق عن الإنشاء ــ التعبير ــ ، وهنا سنتطرق إلى موضوع جديد نتمم به ما بدأناه ألا وهو تقسيم الإنشاء ، فان أقسامه هي :

١ ــ **فن الشعر المنظوم** : وهو الكلام المُقفى الموزون بأوزان مخصوصة ، ومنه المدح والهجاء ، والرثاء .

٢ ــ **فن النثر** : وهو الكلام غير الموزون . ومنه ما يؤتى به قِطعا ، ويُلتزَم به في كل كلمتين قافيةٌ واحدة ، ويُسمى سَجْعاً ، ومنه ما يؤتى به قطعا من غير تقيد بقافية ولا غيرها وهو الذي يُطلَقُ فيه الكلام إطلاقا ، ولا يُقطَّعُ أجزاءً ، بل يُرسل إرسالا من غير تقيّد بقافية ، وهو ما يُسمّى بالنثر المُرسَل[١] .

*** تعريف التوحيدي :**

هو أبو حيّان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس " أبو حيّان " ، فيلسوف متصوِّف معتزلي ، عملاق في الفكر والأدب ، نعته ياقوت الحموي " بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء " . ولِد في شيراز ، وقيل نيسابور ، وأقام مدة في بغداد ثم انتقل إلى الري ، وفيها الوزير ابن العماد ، والصاحب بن عبّاد ، فوشيا به إلى الوزير المهلبي ، فاستتر منه ، ومات في استتاره[٢] .

ولد التوحيدي سنة (٣١٠ هـ ــ ٩٢٢ م) توفي أبوه وأمه وهو صغير ، وعاش في كفاح متصل ، ونضال طويل وحلّ وترحال دائمين ، وحاول أن يبعد شبح البؤس والحرمان عنه فلم يفلح وتردد على قصور الوزراء والكتّاب في عصره ، مثل المهلبي ، وابن العميد ، وابن عباد ، وابن سعدان ، فلم يظفر منهم بطائل بل كسب عداوتهم له ، وعاش في حيرة عيشة الزاهدين المتصوفين . وفي لحظة من لحظات الشقاء والتعاسة النفسية احرق كتبه ، وشاهد النار وهي تشتعل فيها وتلتهمها . ومات بشيراز عام ٤٠٠ هـ) بعد أن حورب من أهل عصره وشقي بأهل زمانه ، وعاش في حرمان متصل ، وفقر شديد . وقد وصف التوحيدي نفسه في مقدمة كتابه " الإشارات الإلهية " الذي حققه وقدّم له د. عبد الرحمن بدوي فقال: " أما حالي فسيئة كيفما قلبتها ، لان الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها ، والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها وأما ظاهري وباطني فما اشد اشتباههما ، وأما سرّي وعلانيتي فممقوتان بعين الحق ، لخلوهما من علامات

١- الهاشمي ، بلاغات ، ج ١ ، ص ٤٠- ٤١ .
٢- التوحيدي ، ٢٠٠٦ ، ج ١ ، ص ٨ .

الصدق ، ودنوهما من عوائق الرق ، وأما سكوني وحركتي فآفتان محيطتان بي ، لأني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى ، ولا أعرى في الأخرى من مرارة الشكوى ، وأما قراري واضطرابي فقد وهّنني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلا للقرار ، وغالب ظني أني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكاك ولا انتظار عندي للانفكاك " ، ومع أن التوحيدي عاش قريبا من بلاط الوزيرين ابن العميد والصاحب ابن عبّاد ، فقد هجاهما ، وألف فيهما كتابا سمّاه " مثالب الوزيرين " وآثر أن يعيش مع المجتدين الأدنياء الارذياء ، وكان يكرر " معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهّال ، والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر الى محيا كل ثقيل " ، فهكذا عاش التوحيدي حياة البائسين وحياة المفكرين ، حتى ليعد الفيلسوف الأديب المعبّر عن ثقافة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[١] .

*** كتاب الامتاع والمؤانسة :**

هو من مؤلفات التوحيدي يقع في ثلاثة أجزاء ، وهو مجموع مسامرات في فنون شتّى من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة ، حاضر المؤلف بها الوزير أبا عبد الله العارض في أربعين ليلة . وقد عرض التوحيدي في هذا الكتاب كل مشكلات الثقافة والفكر والأدب في عصره ، في ندوات أدبية كان يعقدها في أمسيات جميلة في دار الوزير أبي عبد الله العارض ، وقد ألف التوحيدي هذا الكتاب الممتع والرائع على الطريقة التي ألف فيها كتاب الف ليلة وليلة في هذا العصر ، فانه يقص علينا في هذا الكتاب كل ما كان يعانيه من مشكلات الفكر والثقافة والأدب في أدب رفيع من أدب السمر والحوار . والكتاب موزع على اربعين ليلة ، وان كانت الليلة العاشرة والحادية عشرة جعلتا في ليلة واحدة ، وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب .في كل ليلة من ليالي الإمتاع والمؤانسة يجري الحوار والسمر حول موضوع محدد ، يُعيّنه ابن سعدان الوزير ، وإن كان عقل التوحيدي الواسع الثقافة كثيرا ما يميل الى الاستطراد فينتقل من طرفة الى طرفة ، ومن فكرة الى فكرة ، ومن شيء الى آخر شبيه به ، حتى ليتناول عدّة موضوعات ، ويختم الليلة غالبا بملحمة وداع ، أي بطرفة يختم بها الأمسية الأدبية .

ففي مقدمة الكتاب يذكر أبو حيّان مدى اعتزازه بصديقه أبي الوفاء المهندس ، واستجابته لطلبه في تأليف الكتاب ، ويمزج ذلك كله بالشكوى من الزمان .

ـ وفي الليلة الأولى يصف مجلس الوزير ابن سعدان ، ويتحدث عن لذة الحديث ، وعن الاشتقاق اللغوي للكلمة ، ثم يذكر ملحة الوداع .

١ـ خفاجي ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .

ـ وفي الليلة الثانية يذكر أبا سليمان المنطقي ، ورأيه كذلك في علماء عصره من أمثال ابن زرعة ، وابن الخمار ، وابن السمح ، وأبي بكر القومسي ومسكويه ، وعيسى بن علي ، ويحيى بن عدي ، وقد تحدث أبو حيان عن هذه الأعلام ورأيه فيهم ، ورأيهم في النفس .

ـ وفي الليلة الثالثة في أصدقاء السوء ، والرابعة حديث عن الصاحب بن عبّاد الوزير (٣٨٥ هـ) مع الاستطراد إلى كثير من الأعلام وكلمات مأثورة لهم ، وآراء مروية عنهم .

ـ وفي الليلة الخامسة يتصل الحديث بابن عبّاد أيضا ، وبمكاتبه المشهور أبي إسحاق الصابي .

ـ وفي الليلة السادسة يتحدث التوحيدي عن أمم العالم القديم في عصره ، وما امتازت به كل امة من هذه الأمم .

ـ وفي الليلة السابعة يدور السمر حول موازنة بين علمي الحساب والبلاغة .

ـ وفي الليلة الثامنة تضمنت ذكر المناقشة الفكرية بين السيرافي ومتي بن يونس حول أهمية المنطق اليوناني في الكلام ، ومقدار أهميته بالنسبة للنحو العربي ، وأيهما أولى بالعناية ، ويصف التوحيدي أبا سعيد السيرافي وصفا شائقا .

ـ وفي الليلة التاسعة تحدث عن أنواع الحيوان وخصائصها ، وكذلك الليلة العاشرة والحادية عشرة ، وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب .

ـ وأما الليلة الثالثة عشرة فيدور الحوار والسمر فيها حول النفس ، وفي الليلة الرابعة عشرة حوار حول السكينة أي الطمأنينة وضروبها ، وحول خصائص الأمم وصفتها كذلك .

ـ والليلة الخامسة عشرة حوار كلامي عن الواجب[1] والممكن[2] ، والسادسة عشرة حول الجبر والقدر وهي نهاية الجزء الأول من الإمتاع والمؤانسة .

١ـ الواجب هو الله سبحانه وتعالى .
٢ـ هو كل ما عدا الله جل وعلا من الموجودات .

*** وأما الجزء الثاني من الكتاب :**

فيبتدئ بالليلة السابعة عشرة ، ويدور الحديث فيها في جملته حول إخوان الصفا ، من هم ؟ وما فلسفتهم ؟

ـ وفي الليلة الثامنة عشرة سمر ومجون . والتاسعة عشرة قراءات لكلمات فلسفية .

ـ والليلة العشرون حول الحديث النبوي ، والحادية والعشرون حول الغناء والموسيقى والثانية والعشرون حول الجزئي [1] والكلي [2] وهما من الفلسفة ، ثم حول الواحد والكثير .

ـ والليلة الثالثة والعشرون مأثورات نبوية شريفة ، والرابعة والعشرون تعود إلى الحيوان والنبات .
ـ والخامسة والعشرون موازنات بين النظم والنثر ، ومنزلة الشعر بين فنون الأدب .

ـ والسادسة والعشرون تدور حول الأمثال . والسابعة والعشرون قصص وفكاهات ، والثامنة والعشرون حول الفنانين وفنّهم ، والتاسعة والعشرون والثلاثون وبعض الليلة الحادية والثلاثين حول مسائل لغوية وغيرها . وينتهي بها الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة .

*** والجزء الثالث :**

يبدأ ببقية الليلة الحادية والثلاثين وفيها يترامى الحديث إلى المُطْعَمِين والطاعمين ، حيث يدور الحديث حول ذلك في بقية هذه الليلة وفي ليلتين أخريين ، هما الليلة الثانية والثلاثون ، والليلة الثالثة والثلاثون .

ـ أما الليلة الرابعة والثلاثون فتدور حول سياسة الشعب وواجب الحاكم والمحكوم وهي ليلة حافلة بالجد والعبرة والعظمة .

١ـ هو المفهوم الذي لا ينطبق إلا على مصداق واحد مثل أسماء الأعلام .
٢ـ هو المفهوم الذي ينطبق على متعدد مثل مفهوم الإنسان .

ـ وفي الليلة الخامسة والثلاثين يدور الحوار حول الجبر والاختيار[١] ، والحب والشهوة ، والنفس والروح ، وغير ذلك من الأمور الفلسفية العميقة .

ـ وفي الليلة السادسة والثلاثين ينتقل السمر إلى اللغة ، وينتقل في الليلة التي بعدها إلى الأخلاق ، وفي الليالي الثلاث الأخيرة الثامنة والثلاثين ، والتاسعة والثلاثين والأربعين ، يتصل السمر بالفكاهة والجد وبوادر الذكاء . وبها ينتهي الكتاب[٢] .

*** نص من كتاب الامتاع والمؤانسة للتوحيدي :**

سأل الوزير صمام الدولة البويهي أبا عبد الله العارض قائلا : أحب أن اسمع كلاما في مراتب النظم والنثر ... فأجابه أبو عبد الله لطلبه وكان مما قال : (وقال ابن كعب الأنصاري : من شرف النثر أن النبي ﷺ لم ينطق إلا به آمرا وناهيا ، ومستخبرا ومخبرا ، وهاديا وواعظا ، وغاضبا وراضيا ، وما سلب النظم إلا لهبوطه عن درجة النثر ، ولا نزه عنه إلاّ لما فيه من النقص ، ولو تساويا لنطق بهما ، ولمّا اختلفا خصّ باشرفهما الذي هو أجول في جميع المواضع ، وأجلب لكل ما يطلب من المنافع . فهذا قليل من كثير مما يكون تبصرة لباغي هذا الشأن ، ولمن يتوخى حديثه عند كل إنسان . وأما ما يفضل به النظم على النثر فأشياء سمعناها من هؤلاء العلماء الذين كانت سماء علمهم درورا ، وبحر أدبهم متلاطما ، وروض فضلهم مزدهرا ، وشمس حكمتهم طالعة ، ونار بلاغتهم مشتعلة ، وأنا آتي على ما يحضرني من ذلك ، منسوبا إليهم ، ومحسوبا لهم ، ليكون حقهم مقضيا ، وذكرهم على مرّ الزمان طريا. قال السلامي[٣] : من فضائل النظم أن صار لنا صناعة برأسها ، وتكلم الناس في قوافيها ، وتوسعوا في تصاريفها واعاريضها ، وتصرفوا بحورها ، واطلعوا على عجائب ما استخزن فيها من آثار الطبيعة الشريفة ، وشواهد القدرة الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فانه قصر عن هذه الذروة الشامخة ، والقلة العالية ؛ فصار بذلك بذلة لكافة الناطقين من الخاصة والعامة والنساء والصبيان)[٤] .

١ـ الجبر والاختيار مفهومان عقداندیان يتعلقان بافعال الانسان هل هي من الله سبحانه وتعالى فيكون مجبرا عليها ، ام هي من الانسان نفسه فلا يكون مجبرا عليها .

٢ـ خفاجي ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٦ .

٣ـ هو عبد الله بن موسى بن الحسين بن إبراهيم السلامي شاعر له اشتغال بالحديث والتاريخ والأدب ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٧٤ هـ .

٤ـ التوحيدي ، ٢٠٠٦ ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

*** التحليل اللغوي :**

* المعجم :

١ ــ **أجول** : (أجالهُ) وبه : جعله يجول . و ــ أداره . و ــ القومُ الــرأي فيمــا بينهم : تداولوا البحث فيه . ويقال : أجِلْ جائلتك : أمْض أمْرَك ولا تتردَّدْ[١] .

٢ــ **دروراً** : (درَّ) الضَّرْعُ باللَّبَن يَدُر بالضم (دُرُوراً) و (أدرَّت) الناقةُ فهي (مُدرّ) أي درَّ لبَنُهَا والريحُ تُدِر السَّحَابَ و (تَسْتَدِرُّه) أي تَسْتَحْلِبُه ...[٢] .

٣ــ **روض** : الرَّوْضةُ : الأرض ذات الخُضْرة . والرَّوْضةُ : البستان الحَسَنُ ؛ عن ثعلب[٣] . والرَّوْضةُ : الموضع يجتمع فيه الماء يكْثُر نَبْتُه ، ولا يقال فــي موضــع الشجر روضة ، وقيل : الروضة عُشْب وماء ولا تكونُ رَوْضة إلا بماء معهــا أو جنبها ...[٤] .

٤ ــ **القلة** : القُلَّة : أعلى الجبل . وقُلَّة كل شيء : أعلاه ، ... وخص بعضهم بــه أعلى الرأس والسنام والجبل ...[٥] .

* الصرف : ولنأخذ

ــ (**أجول و أجلب**) :

يُسمّى هذان اللفظان عند الصرفيين (اسم تفضيل) ويُعرَّف اسم التفــضيل أنه :

((وصف يُصاغ على وزن " أفْعَل " للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة واحدة ، وزاد احدهما على الآخر في تلك الصفة ، مثل (أكثر ، اقلّ ، اعــزّ ، أمنــع ، أكرم))[٦] .

١ـ مصطفى وآخرون ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
٢ـ الرازي ، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٠ .
٣ـ وهو من أهم علماء اللغة والنحو والأدب الكوفيين له مؤلفات مشهورة من مثل مجالس العلماء (ت ٢٩١ هـ) .
٤ـ ابن منظور ، ١٩٩٧ ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .
٥ـ ابن منظور ، ١٩٩٧ ، ج ٥ ، ص ٣١٤ .
٦ـ شلاش وآخرون ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨٤ .

الفاعل

١ . الفاعل اسم مرفوع يقع بعد فعل مبنيٍّ للمعلوم ويدلّ على من فعل الفعل أو اتّصف به .

مثل : حضرَ الغائبُ[١] (الفاعل يدلُّ على من فعل الفعل) .

: ماتَ الرجُلُ (الفاعل اتَّصَفَ بالفعل) .

٢ . أحوال الفاعل .

يأتي الفاعل :

أ ـ اسما مُعرباً كما في المثالين السابقين .

ب ـ أو اسماً مبنياً (ضميراً متصلاً أو مستتراً أو اسم اشارة أو اسماً موصولاً . . .) .

مثل : حَفظْتُ القصيدةَ[٢] .

: العصفورُ طارَ[٣] .

: نجحَ هذا الطالبُ[٤]

: نجحَ الذي اجتهدَ[٥]

جـ ـ أو مصدراً مؤولاً من « أنْ والفعل » أو من « أنَّ واسمها وخبرها)

مثل : يَسرُّني أَنْ تتقدَّمَ[٦] (التأويل : يَسرُّني تقدُّمُكَ) .

: سرَّني أنَّ محمداً حاضرٌ[٧] (التأويل : سرَّني حضورُ محمدٍ) .

---

(١) الغائبُ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره .

(٢) التاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل .

(٣) الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على العصفور .

(٤) هذا : اسم اشارة مبني على السكون في محل رفع فاعل .

(٥) الذي : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل .

(٦) أنْ : حرف مصدري ونصب .

تتقدَّمَ : فعل مضارع منصوب بأنْ وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره . والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، والمصدر المؤول من أنْ والفعل في محل رفع فاعل مؤخر للفعل يَسرُّ .

(٧) أنَّ : حرف توكيد ونصب ، محمداً : اسم أنَّ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، حاضرٌ : خبر أنَّ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمِّ ، والمصدر المؤول من أنَّ واسمها وخبرها في محل رفع فاعل للفعل سَرَّ .

٣ . إفراد الفعل مع الفاعل .

يلزم الفعل دائماً حالةَ الإفراد مع الفاعل ، سواء أكانَ الفاعلُ مفرداً أم مثنىً أم جمعاً .

مثل : حضرَ المعلمُ ـ حضرَ المعلمانِ ـ حضرَ المعلمونَ .

: حضرَتِ المعلمةُ ـ حضرت المعلمتانِ ـ حضرت المعلماتُ .

٤ . تأنيث الفعل مع الفاعل .

إذا كان الفاعل مؤنثاً لحقت بالفعل تاء التأنيث (وهي تاء ساكنة في آخر الماضي وتاء متحرّكة في أول المضارع) . وتأنيث الفعل مع الفاعل يكون واجباً أو جائزاً على النحو التالي :

أ . يجب تأنيث الفعل مع الفاعل :

ـ إذا كان الفاعلُ حقيقيَّ التأنيث غير منفصلٍ عن الفعل .

مثل : سافرَتْ[1] عائشةُ .

: تَلْعَبُ فاطمةُ .

ـ إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود على مؤنث حقيقي أو مجازي[2] .

مثل : سُعاد نجحَتْ (الفاعل ضمير مستتر يعود على مؤنث حقيقيٍّ) .

: الحربُ انتهتْ (الفاعل ضمير مستتر يعود على مؤنث مجازي) .

ب . يجوز تأنيث الفعل مع الفاعل :

ـ إذا كان الفاعلُ حقيقيَّ التأنيث مفصولاً عن فعله .

مثل : سافرتِ اليومَ عائشةُ أو سافرَ اليومَ عائشةُ .

: تعودُ غداً زينبُ . أو يعودُ غداً زينبُ .

ـ إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً مجازيَّ التأنيث .

---

(١) التاء تاء التأنيث لا محل لها من الإعراب .

(٢) المؤنث الحقيقي هو كلّ اسم دلّ على إنسان أو حيوان يلد أو يبيض .

والمؤنث المجازي هو كلّ اسم دلّ على مؤنث غير حقيقي وعاملته العرب مجازاً معاملة المؤنث مثل : الشمس ، الحرب ، البئر . . . الخ .

مثل : تَطلعُ الشمسُ أو يَطلعُ الشمس .
امتلأتِ البئرُ أو امتلأَ البئرُ .

ـ إذا كان الفاعلُ جمع تكسيرٍ للمذكَّرِ أو المؤنَّثِ .
مثل : حضرَتِ الرِّجالُ أو حضرَ الرِّجالُ .
بكَتِ الثواكِلُ أو بكى الثواكِلُ

فوائد :

١ . قد يسبق الفاعل حرف جرٍّ زائد (منْ أو الباء (١) أو اللام) فيكون مرفوعاً بعلامة مقدَّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد كقوله تعالى : «ما تَسْبِقُ من أُمَّةٍ أَجَلَهَا وما يستأخِرون» (٢) .
ومثل : كفى بالموتِ واعظاً .
هَيْهَاتَ لِعَوْدَةِ المهاجرِ (٣) .

٢ . لا يُشْتَرَطُ أنْ يأتيَ الفاعلُ بعدَ الفعلِ مباشرةً بل يجوزُ أنْ يفصلَ بينهما فاصلٌ أو أكثر .
مثل : يُدْرِكُ الآمالَ المكافِحُ (فُصِلَ الفاعلُ عن الفعلِ بالمفعول به) :
أعجَبَنِي في المعلمِ تَواضُعُهُ (فُصِلَ الفاعلُ عن الفعل بنون الوقاية و ياء المتكلِّم وشبه الجملة الجار والمجرور) .

٣ . الأصل أنْ يقعَ الفاعلُ بعد فعل كما في الأمثلة السابقة ، الاَّ أنَّ كلاً من اسم الفاعل أو صيغةِ المبالغةِ أو الصِّفةِ المشبَّهةِ قد يعمل عملَ الفعل فيرفع فاعلاً ، مثل :
جاءَ الرجلُ الفاضلُ أبوهُ (٤) .
هذا وَلَدٌ مِقْدَامٌ أخوهُ (٥) .
هذا طالبٌ حَسَنٌ عَمَلُهُ (٦) .

---

(١) يجب زيادة الباء مع الفاعل في صيغة التَّعجُّب التي على وزن (أفْعِلْ بِهِ) ، مثل : أكْرِمْ بِالقرآنِ معجزةً (أكْرِمْ : فعل ماضٍ جاءَ على صيغةِ الأمر مبني على السكون . بالقرآنِ : الباء حرف جرّ زائد مبني على الكسر لا محلَّ له من الإعراب ، القرآنِ : فاعل مرفوع بضمَّة مقدَّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد .

(٢) أُمَّةٍ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد .

(٣) هيهاتَ : اسم فعل ماضٍ مبني على الفتح لا محلَّ له من الإعراب . لِعَودَةِ : اللام حرف جرّ زائد مبني على الكسر لا محلَّ له من الإعراب . عودةِ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد .

(٤) أبوهُ : أبو فاعل لاسم الفاعل (الفاضل) مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنَّهُ من الأسماء الخمسة وهو مضاف ، والهاء ضمير متَّصل مبني على الضم في محل جرّ مضاف إليه .

(٥) أخوهُ : أخو فاعل لصيغة المبالغة (مِقدام) مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنَّهُ من الأسماء الخمسة وهو مضاف ، والهاء ضمير متَّصل مبني على الضم في محل جرّ مضاف إليه .

(٦) عَمَلُهُ : عَمَلَ فاعل للصِّفة المشبَّهة (حَسَنٌ) مرفوع وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، والهاء ضمير متَّصل مبني على الضم في محل جرّ مضاف إليه .

٥٨

نائب الفاعل

١ . نائب الفاعل اسم مرفوع يقع بعد فعلٍ مبنيٍّ للمجهول[١] ويحلّ محل الفاعل بعد حذفه .

مثل : فُتِحَ البابُ[٢] (أصل الجملة : فَتَحَ الرجلُ البابَ) .

: يُشرَبُ الحليبُ[٣] (أصل الجملة : يَشرَبُ الطفلُ الحليبَ) .

٢ . أحوال نائب الفاعل .

يأتي نائب الفاعل :

أ ـ اسماً مُعرَباً كما في المثالين السابقين .

ب ـ أو اسماً مبنياً (ضميراً ظاهراً أو مستتراً ، اسم اشارة ، اسماً موصولاً)

مثل : جُرِحْتُ في المعركةِ[٥] . ما يُكْرَمُ إلّا هو[٤]

: الضيفُ أُكْرِمَ[٦] .

: شُوهِدَ هذا المنظرُ[٧] .

: كُوفِيءَ الذي نجحَ[٨] .

---

(١) تتغيّر صورة الفعل عند بنائه للمجهول على النحو التالي :

ـ إذا كان ماضياً يُضَمُّ أوله ويُكسر ما قبل آخره .

مثل : فُهِمَ الدرسُ .

ـ إذا كان ماضياً أجوفاً (أي معتل الوسط) يُكسرُ أوله ويقلبُ حرف العلة ياءً .

مثل : قِيلَ الصدقُ .

ـ إذا كان مضارعاً يُضمّ أوله ويفتح ما قبل آخره .

مثل : يُرْكَبُ الحصانُ .

وإن كان ما قبل آخر المضارع واواً أو ياءً تقلب ألفاً .

مثل : يُعادُ المريضُ ـ يُرادُ النجاحُ .

(٢) فُتِحَ : فعل ماضٍ مبني للمجهول ، البابُ : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

(٣) يُشرَبُ : فعل مضارع مبني للمجهول ، الحليبُ : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة .

(٤) هُوَ : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل .

(٥) التاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع نائب فاعل .

(٦) نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الضيف .

(٧) هذا : اسم اشارة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل .

(٨) الذي : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل .

جـ . أو مصدراً مؤولاً من أنْ والفعل أو من أنَّ واسمها وخبرها .

مثل : يُرادُ أنْ تحضرَ[١] (التأويل : يُريدُ المعلمُ حضورَكَ) .

: عُلِمَ أنَّ محمداً حاضرٌ[٢] (التأويل : عُلِمَ حضورُ مُحمدٍ) .

د . أو شبهَ جملة (ظرف أو جار ومجرور) .

مثل : سُهِرت ليلةُ السفرِ[٣] .

: أُسِفَ عليهِ[٤] .

٣ . إفراد الفعل مع نائب الفاعل .

يلزم الفعل حالة الإفراد مع نائب الفاعل ، سواء أكان نائب الفاعل مفرداً أم مثنىً أم جمعاً .

مثل : أُكرِمَ الضيفُ ـ أُكرِمَ الضيفانِ ـ أُكرِمَ الضيوفُ .

: أُكْرِمَت الضيفةُ ـ أُكرِمَت الضيفتانِ ـ أُكرِمَت الضيفاتُ .

٤ . تأنيث الفعل مع نائب الفاعل .

يطبَّق بالنسبة لتأنيث الفعل مع نائب الفاعل نفس القواعد التي تحكم تأنيث الفعل مع الفاعل ، مثل :

لُقِّبَتْ أسماءُ بذاتِ النطاقينِ (الفعل واجب التأنيث ؛ لأنَّ نائب الفاعل حقيقيّ التأنيث غير منفصل عنه) .

فاطمةُ شُكِرَتْ (الفعل واجب التأنيث ؛ لأنَّ نائب الفاعل ضمير مستتر يعودُ على مؤنَّثٍ حقيقيٍّ) .

الشمسُ كُسِفَتْ (الفعل واجب التأنيث ؛ لأنَّ نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على مؤنَّثٍ مجازيٍّ) .

نُوقِشَت في الروايةِ سعادُ (الفعل جائز التأنيث ؛ لأنَّ نائب الفاعل حقيقيُّ التأنيث مفصولٌ عن فعله » .

---

(١) أنْ : حرف مصدري ونصب ، تحضرَ : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة والمصدر المؤول من أنْ والفعل في محل رفع نائب فاعل .

(٢) أنَّ : حرف توكيد ونصب ، محمداً : اسم أنَّ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، حاضرٌ: خبر أنَّ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم ، والمصدر المؤول من أنَّ ومعموليها في محل رفع نائب فاعل .

(٣) ليلةُ : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، وهي مضاف والسفرِ مضاف إليه مجرور وعلامة جرِّه الكسرة

(٤) عليه : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل .

٦٠

تُكْسَفُ الشمسُ (الفعل جائز التأنيث ؛ لأَنَّ نائبَ الفاعل اسمٌ ظاهرٌ مجازيُّ التأنيثِ) .
سُوعِدَتِ الأرامِلُ (الفعل جائز التأنيث ؛ لأَنَّ نائبَ الفاعلِ جمعُ تكسيرٍ) .
كوفِئَتِ العمَّالُ (الفعل جائز التأنيث ؛ لأَنَّ نائبَ الفاعل جمعُ تكسيرٍ) .

٥ . العامل في النائب عن الفاعل .

العامل في النائب عن الفاعل هو الفعل كما في الأمثلة السابقة ، أو اسم المفعول .

مثل : هذهِ أُسْرَةٌ مُهَذَّبٌ أفرادُهَا (١) .

فائدة

١ . إذا بُنيَ الفعل المتعدي الذي ينصب أكثر من مفعول به للمجهول فإنَّ المفعول به الأول يرفع على أنّه نائب فاعل و يبقى غيره منصوباً على أنه مفعول به .

مثل : مُنِحَ المزارعُ قرضاً (٢) .

٢ . قد يسبق نائبَ الفاعلِ حرفُ جرٍّ زائدٍ فيكون مرفوعاً بعلامة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائدِ ، كقولهِ تعالى : « وَمَا أُرْسِلَ مِنْ رسولٍ (٣) إلاَّ بلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لهُم » .

ومثل : لَمْ يُذَعْ مِنْ أنباءٍ جديدةٍ .

---

(١) أفراد : نائب فاعل لاسم المفعول (مُهَذَّبٌ) وهو مضاف والهاء ضمير متّصل مبني على الضم في محل جر مضاف اليه .

(٢) قَرْضاً : مفعول به منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٣) رسولٍ : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمّة مقدّرة منعَ من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد .

٦١

المبتدأ والخبر

المبتدأ

١ . المبتدأ هو الاسم الذي نبدأ به الجملة الاسمية(١) .
وهو لفظ مفرد (أي كلمة واحدة) مرفوع بالابتداء، إذا لم يسبقه عامل نصب أو عامل جرّ.

مثل المعلمُ حاضرٌ(٢) .

: التلميذانِ حاضرانِ .

: المحسنونَ ممدوحونَ .

: المعلماتُ مخلصاتٌ .

: التلاميذُ متعاونونَ .

٢ . أحوال المبتدأ .

يأتي المبتدأ :

أ ـ اسماً معرباً كما في الأمثلة السابقة .

ب ـ أو اسمياً مبنياً (ضميراً أو اسم اشارة أو اسماً موصولاً أو اسم شرط . . . الخ) .

مثل : أنا مسافرٌ(٣) .

: هذا الكتابُ مفيدٌ(٤) .

---

(١) يجوز أن تدخل على المبتدأ لام مفتوحة تُسمّى « لام الابتداء » . كما يجوز أن يسبقه حرف نفي أو حرف استفهام . ولا تؤثر هذه الحروف على المبتدأ من حيث إعرابه .
مثل : لَنعمَ المتفضلُ من المالِ (اللام لام الابتداء ، العلمُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة .
: ما جزاءُ المتطلبِ بالتمني (ما حرف نفي ، نيلُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة) .
: هلْ أنتَ موافقٌ (هل حرف استفهام ، أنتَ : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ) .

(٢) المعلمُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، حاضرٌ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٣) أنا : ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .

(٤) هذا : اسم اشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .

٦٢

: الذي اجتهدَ نجحَ[١] .

: مَنْ يجتهدْ ينجحْ[٢] .

: كَمْ ديناراً لديكَ[٣] ؟

جـ ـ أو مصدراً مؤولاً مثل : أنْ تصومَ خيرٌ لكَ[٤] (التأويل : صومُكَ خيرٌ لكَ) .

(٣) الابتداء بالنكرة .

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة كما في الأمثلة السابقة ، وقد يقع نكرة في الحالات التالية :

ـ إذا كان كلمةً من الكلمات التي تدلّ على عموم .

مثل : كُلٌّ لَكَ شاكِرُونَ .

ـ إذا كان مسبوقاً بنفي أو استفهام .

مثل : ما مجتهدٌ غائبٌ[٦] .

: هَلْ كريمٌ يُغيثُ الملهوفَ[٧] ؟

ـ إذا كان موصوفاً أو مضافاً إلى نكرة .

مثل : رجلٌ كريمٌ في البيتِ[٨] .

: طالبُ إحسانٍ واقفٌ[٩] .

ـ إذا تقدَّم عليه خبره وهو شبه جملة ظرفية أو جار ومجرور .

---

(١) الذي : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .

(٢) مَنْ : اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ

(٣) كَمْ : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .

(٤) أنْ : حرف مصدري ونصب ، تصوم : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة . والمصدر المؤول من أنْ والفعل في محل رفع مبتدأ .

(٥) كلٌّ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٦) ما : حرف نفي ، مجتهدٌ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٧) هَلْ : حرف استفهام ، كريمٌ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٨) رجلٌ : مبتدأ مرفوع بتنوين الضمّ ، كريمٌ : نعت مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٩) طالبُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف ، إحسانٍ : مضاف اليه مجرور بتنوين الكسر .

مثل : فوقَ الغصنِ عصفورٌ[١] .

: في الإناءِ ماءٌ .[٢]

فائدة :

قد يسبق المبتدأ حرفُ جر زائد أو شبيه بالزائد ، مثل :

بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ .

: هل من رجلٍ في البيتِ[٣] .

: رُبَّ امرأةٍ أعظمُ من رجلٍ[٤] .

٤ . حذف المبتدأ

يُحْذَفُ المبتدأ جوازاً أو وجوباً على النحو التالي :

أ . يجوز حذف المبتدأ إنْ دلَّ عليه دليلٌ مقاليٌّ كأن يكون جواباً عن سؤال ، كقولكَ : (في المكتبةِ) (٥) جواباً لمن قال لكَ : أينَ محمدٌ ؟ وكقولكَ : حَسَنٌ جواباً لِمَنْ قالَ لكَ كيفَ الحالُ ؟

ب . ويجب حذف المبتدأ في المواضع التالية :

- إذا كان خبره مخصوص نِعمَ أو بئسَ .

مثل : نِعمَ القائدُ خالدٌ (٦)

بِئسَ الخُلقُ الرياءُ (٧) .

---

(١) فوق : ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف ، الغصن : مضاف اليه مجرور وعلامة جره الكسرة . وشبه الجملة الظرفية في محل رفع خبر مقدم ، عصفورٌ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم .

(٢) في الإناءِ : شبه جملة ظرفية في محل رفع خبر مقدّم ، ماءٌ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم .

(٣) هلْ : حرف استفهام ، مِنْ : حرف جر زائد ، رجلٍ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد .

في البيتِ : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر المبتدأ .

(٤) ربَّ حرف جر شبيه بالزائد .

امرأة : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الشبيه بالزائد .

أعظمُ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه ضمة .

(٥) في المكتبة : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديرُه (محمدٌ) .

(٦) خالدٌ : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره هو .

(٧) رياءُ : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره هو .

٦٤

ـ إذا كان خبره مصدراً نائباً عن فعله .

مثل : صبرٌ جميلٌ (١) .

. إذا كان خبره مشعراً بالقسم .

مثل : في ذمتي لأعطِفَنَّ على البائسينَ (٢)

ـ إذا كانَ خبرُهُ نعتاً مقطوعاً عن منعوته للمدح أو الذَّم أو الترحُّم ، مثل : رأيْتُ التلميذَ الكسولُ (٣) .

٥ . مواضع تقديم المبتدأ على الخبر وجوباً

. يجب تقديم المبتدأ في المواضع التالية : ـ

أ ـ اذا كان المبتدأ من الألفاظ التي لها الصدارة .

مثل : مَنْ يَفْعَلْ خيراً يَفُزْ (٤) .

ب ـ اذا كان المبتدأ مقصوراً على الخبر .

مثل : إنّما الحديدُ صلْبٌ (٥)

: ما أنتَ إلاّ شاعرٌ (٦)

ج . اذا كان خبر المبتدأ جملة فعلية فاعلها ضميرٌ مستترٌ يعود على المبتدأ .

مثل : الطفلُ يضحكُ (٧) (فلو قلنا يضحكُ الطفلُ لَصَارَ فاعلاً ونحنُ نريدُهُ مبتدأ) .

: الثلجُ ذابَ (٨) .

---

(١) صبرٌ: خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره صبري .

(٢) في ذِمَّتي : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديرُهُ قسمٌ أو يمينٌ ، ذمّة مضاف والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جرّ مضاف إليه .

(٣) الكسولُ : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديرُهُ هو.

(٤) مَنْ اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .

(٥) إنّ : حرف توكيد ونصب يطل عملها لاتصالها بما الكافة .
الحديدُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة .
صلبٌ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٦) ما : حرف نفي ، أنتَ : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ، إلاّ : أداة حصر ، شاعرٌ: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٧) الطفلُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، يضحكُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الطفل ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ .

(٨) الثلجُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة ، ذابَ : فعل ماضٍ مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ .

د . إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين أو نكرتين متساويتين في التخصّص .

مثل : أُستاذِي رائِدِي في العلمِ . (المبتدأ والخبر معرفتان) .

: أكبرُ منكَ سناً أكثرُ منكَ تجرِبَةً . (المبتدأ والخبر نكرتان متساويتان في التخصص) .

الخبر

١) الخبر هو ما يكمِّلُ معنى المبتدأ (أي هو الجزء الذي يكوِّن مع المبتدأ جملة مفيدة) .

مثل : الدرسُ سهلٌ[١] .

: الشجرتانِ مثمرتانِ[٢] .

: المعلمونَ مجدّونَ[٣] .

٢ . تطابق المبتدأ والخبر .

الخبرُ يطابق المبتدأ في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث[٤] .

مثل : التلميذُ نشيطٌ ـ التلميذانِ نشيطانِ ـ التلاميذُ نشيطونَ .

: التلميذةُ نشيطةٌ ـ التلميذتانِ نشيطتانِ ـ التلميذاتُ نشيطاتٌ .

٣ . أنواع الخبر

الخبر ثلاثة أنواع :

أ ـ اسم ظاهر (مفرد) كما في الأمثلة السابقة .

ب ـ جملة (اسمية أو فعلية) .

مثل : التلميذُ سلوكُهُ جيِّدٌ[٥] .

: التلميذُ يكتبُ[٦] .

---

(١) سهلٌ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٢) مثمرتانِ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى .

(٣) مجدّونَ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم .

(٤) إذا كان المبتدأ جمعاً لغير عاقل (مثل القصور ، الأشجار ، الحدائق) فإنَّ الخبرَ يكون مفرداً مؤنثاً أو جمعاً مؤنثاً مثل : القصورُ عاليةٌ أو عالياتٌ ، الأشجارُ مورقةٌ أو مورقاتٌ .

(٥) التلميذُ : مبتدأ أول مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، سلوكُ : مبتدأ ثانٍ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

والجملة الاسمية من المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول .

(٦) التلميذُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، يكتبُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على التلميذ ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ .

جـ ـ شبه جملة (ظرف أو جار ومجرور) .

مثل : الكتابُ فوقَ الطاولةِ (١)

: المعلمُ في الصفِّ (٢)

٤ . تقديم الخبر على المبتدأ .

يتقدَّمُ الخبر على المبتدأ جوازاً أو وجوباً على النحو التالي :

أ ـ يجوز تقديم الخبر على المبتدأ :

ـ إذا أريد إعطاء الصدارة لمعنى الخبر .

مثل : ممنوعٌ التدخينُ (٣) .

ـ إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ معرفة .

مثل : فوقَ السطحِ محمدٌ (٤)

: في الحديقةِ الحارسُ (٥) .

ب ـ يجب تقديم الخبر على المبتدأ :

ـ إذا كان الخبر مستحقاً للصدارة كأسماء الاستفهام .

مثل : متى السفرُ (٦) ؟

ـ إذا كان الخبر محصوراً في المبتدأ .

مثل : إنّما في البيتِ عليٌّ (٧) .

: ما ناجحٌ إلاّ المُجدُّ (٨).

ـ إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة غير موصوف ولا مضاف .

---

(١) فوق : ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة ، وهو مضاف والطاولة مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة ، وشبه الجملة الظرفية في محل رفع خبر المبتدأ .

(٢) في الصفِّ : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر المبتدأ .

(٣) ممنوعٌ : خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ ، التدخينُ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

(٤) فوق السطح : شبه جملة ظرفية في محل رفع خبر مقدم ، محمدٌ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلاومة رفعه تنوين الضمّ .

(٥) في الحديقةِ : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدّم ، الحارسُ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة .

(٦) متى : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم ، السفرُ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

(٧) إنّ : حرف توكيد ونصب بطل عملها لاتصالها بما الكافة ، في البيت : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم ، عليٌّ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٨) ما : حرف نفي ، ناجحٌ : خبر مقدّم مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ ، إلاّ : أداة حصر ، المجدُّ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة .

مثل : في الكوبِ ماءٌ(١)

ـ أن يتصّل المبتدأ بضمير يرجع إلى الخبر .

مثل : في الكليةِ عميدُها(٢) .

٥ . حذف الخبر.

يُحْذَفُ الخبرُ جوازاً أو وجوباً على النحو التالي :

أ . يجوز حذف الخبر في موضعين هما :

إنْ دَلَّ عليه دليلٌ مَقَاليٌّ كأن يكون جواباً عن سؤالٍ ، كقولكَ : عليٌّ (٣) جواباً لمن قالَ لكَ مَنْ في البيت ؟

ـ إذا وقع بعد إذا الفجائية ، مثل : خَرَجْتُ فإذا المعلمُ (٤) .

ب . ويجب حذف الخبر في المواضع التالية :

أ ـ اذا كان المبتدأ بعد «لولا» والخبرُ كونٌ عام ، نحو موجودٌ وكائنٌ .

مثل لولا الهواءُ ما عاشَ مخلوقٌ(٥)

ب ـ إذا كان المبتدأ صريحاً في القسم .

مثل : لَعَمْرُكَ لَيَنْجَحَنَّ المجدُّ (٦) .

يمينُ الله لقد أَنْجَزْتُ وَعدِي .

جـ ـ إذا كان المبتدأ متلُوّاً بواو للعطف تَدلُّ على المصاحبة .

مثل : كلُّ إنسانٍ وَعَمَلُهُ(٧) .

---

(١) في الكوب : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم ، ماءٌ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم .

(٢) في الكلية: شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، عميدُ: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني في محل جرّ مضاف إليه .

(٣) عليٌّ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم ، والخبر محذوف جوازاً تقديرهُ في البيت .

(٤) المعلمُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، والخبر محذوف جوازاً تقديره موجودٌ .

(٥) لولا : حرف امتناع لوجود مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، الهواءُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والخبر محذوف وجوباً تقديره (موجود) .

(٦) لعمرُك : اللام لام الابتداء حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، عمرُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جرّ مضاف إليه .
والخبر محذوف وجوباً تقديره قسمي . ومعنى الجملة (لعمرُك قسمي أو يميني . .)

(٧) كلّ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف ، منزلٍ : مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه تنوين الكسر . الواو : حرف عطف يدلّ على المصاحبة ، عملُ : معطوف على كلّ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف ، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جرّ مضاف إليه . والخبر محذوف وجوباً تقديره « مقترنان » .

٦٨

لأن الخبر هو الجزء المتم الفائدة

إذا أغنت عن الخبر حالٌ لا تصلحُ أنْ تكونَ خبراً (١) .

مثل : شُرْبِي الشايَ ساخِناً (٢) (أي شُرْبِي الشايَ حاصلٌ إذا كانَ ساخناً) .

أكْثَرُ شُربِي الشايَ ساخناً .

أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّهِ وهُوَ ساجدٌ (٣) . (التأويل : أقْرَبُ كونِ العبدِ من ربِّهِ وَهوَ ساجدٌ) .

---

(١) لا تُغْنِي الحالُ عن الخبر، إلا إذا كان المبتدأ مصدراً مضافاً إلى فاعله في المعنى كما في المثال الأول ، أو اسم تفضيل مضافاً إلى مصدرٍ صريحٍ أو مؤوَّل كما في المثالين الثاني والثالث على الترتيب .

(٢) ساخناً : حال سدَّت مسد الخبر.

(٣) وهو ساجدٌ : جملة اسمية في محل نصب حال سدَّت مسد الخبر.

٦٩

كان وأخواتها

١ . كان وأخواتها أفعال ناسخة تدخل على الجملة الاسمية فتغيّر حكمها بحكم آخر ، إذ تبقي المبتدأ مرفوعاً ويسمّى اسمها وتنصب الخبر ويسمّى خبرها[١] .

وتسمّى أيضاً بالأفعال الناقصة ، لأنّها تدلُّ على زمان فقط ، أي أنّها لا تدلُّ على حدث ومن ثمّ لا تحتاج إلى فاعل[٢] .

٢ . كان وأخواتها ثلاثة عشرَ فعلاً هي :

كانَ ـ أصبحَ ـ أضحى ـ ظلَّ ـ أمسى ـ باتَ ـ صارَ ـ ليسَ ـ ما زالَ ـ ما بَرِحَ ـ ما انفكَّ ـ ما فتِئَ ـ ما دامَ .

٣ . معاني كان وأخواتها .

يمكن تصنيف كان وأخواتها بالنّظر إلى معانيها على النحو التالي :

ـ أفعالٌ تفيد اتصاف اسمها بخبرها بوقت مخصوص ، وهذه الأفعال هي :

كان ـ أصبح ـ أضحى ـ أمسى ـ ظلَّ ـ باتَ

مثل : كانَ الحفلُ رائعاً[٣] (تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الماضي)[٤] .

: أصبحَ الجوُّ صحواً (تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الصباح) .

: أضحى المعلمونَ مهتمين بعملهم (تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الضحى) .

: أمسى المجهولُ معلوماً (تفيد اتصاف اسمها بخبرها في المساء) .

: ظلَّ الجوُّ حاراً (تفيد اتصاف اسمها بخبرها نهاراً) .

: باتَ الطالبُ ساهراً (تفيد اتصاف اسمها بخبرها ليلاً) .

---

(١) إذا كان خبرها جملة أو شبه جملة فإنه يكون في محل نصب .

(٢) تحتاج إلى خبر ليتم معنى الجملة .

(٣) كانَ : فعل ماض ناقص مبني على الفتح ، الحفلُ : اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، رائعاً : خبر كان منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٤) قد يكون اتصاف اسمها بخبرها دائماً مثل : وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً .

ـ فعل يفيد نفي الحال ، وهو الفعل (ليس) مثل : ليسَ الأمرُ سهلاً .

ـ أفعالٌ تفيد استمرار اتصاف اسمها بخبرها ، وهي : ما زالَ ـ ما بَرِحَ ـ ما انفكَ ـ ما فتيءَ .

مثل : ما زالَ المطرُ منهمراً .

: ما برحَ الحارسُ مستيقظاً .

: ما انفكَ القضاةُ عادلين(١) .

: ما فتيءَ الطفلان نائمين(٢) .

ـ فعلٌ يدلّ على بيان مدّة ما قبله وهو الفعل (ما دام)

مثل : لا تخرجْ من البيتِ ما دامَ المطرُ نازلاً(٣) (أي مدّة دوام نزولِ المطرِ) .

: أحسن ما دمتَ حيّاً (أي مدّة دوامك حيّاً) .

ـ فعلٌ يفيد التحول من صفة إلى صفة وهو الفعل (صارَ) .

مثل : صارَ الدقيقُ خبزاً .

٤ . تصريف كان وأخواتها . .

تنقسم كان وأخواتها من جيث تصريفها إلى ثلاثة أقسام هي :

ـ أفعال يأتي منها المضارع والأمر ، ويعمل مضارعها وأمرها عمل الماضي(٤) ، وهذه الأفعال هي :

---

(١) ما انفكّ : فعل ماض ناقص من أخوات كان مبني على الفتح ، القضاة : اسم ما انفكّ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، عادلين : خبر ما انفك منصوب وعلامة نصبه الياء لأنّه جمع مذكر سالم .

(٢) ما فتيء : فعل ماضٍ ناقص من أخوات كان ، الطفلان : اسم ما فتيء مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى .

نائمين : خبر ما فتيء منصوب وعلامة نصبه الياء لأنّه مثنى .

(٣) ما دام : ما مصدرية ظرفية ، دام : فعل ماض ناقص مبني على الفتح ، المطرُ : اسم ما دام مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، نازلاً : خبر ما دام منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، والمصدر المؤول من ما ودام في محل نصب على الظرفية الزمانية .

(٤) مصدر هذه الأفعال واسم فاعلها يعملان عمل الماضي .

مثل : عجبتُ من كونِ أخيكَ غافلاً .

كونِ : مصدر كان اسم مجرور بمن وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف ،

أخي : مضاف إليه مجرور لفظاً مرفوع محلاً ؛ لأنه اسم للمصدر الناقص (كون) وهو مضاف والكاف متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه ، غافلاً : خبر كون منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

ومثل : وما كل من يبدي البشاشة كائناً أخاكَ إذا لم تلفهِ لكَ مُنجدا .

كائناً : اسم الفاعل من كان وهو خبر ما العاملة عمل ليس منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، واسمه مستتر تقديره هو

أخاكَ : أخا خبر كائناً منصوب وعلامة نصبه الألف لأنّه من الأسماء الخمسة وهو مضاف ، والكاف

كان ـ أصبح ـ أضحى ـ ظلَّ ـ أمسى ـ باتَ ـ صارَ .

مثل : يظلُّ المذنبُ خائفاً(١) .

: كنْ مستعداً(٢) .

ـ أفعالٌ يأتي منها المضارع فقط ولا يأتي منها الأمر ، ويعمل مضارعها عمل الماضي(٣) ، وهذه الأفعال هي : ما زالَ ـ ما بَرِحَ ـ ما انفكَ ـ ما فتيءَ .

مثل : ما يزالُ الرجلُ عالماً ما طلب العلمَ(٤)

: لم ينفكِ الثلجُ يذوبُ(٥) .

ـ فعلان جامدان لا يأتي منهما مضارع ولا أمر وهما : ليس وما دام .

وتسمّى (ما) التي تسبق دام بما المصدرية الظرفية ،(٦) ويشترط في (ما دام) أن يسبقها جملة .

مثل : ينجحُ الطالبُ ما دام مُجِدّاً .(٧)

: اخدم وطنَكَ ما دمتَ حيّاً .

---

(١) يظلُّ : فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره . المذنبُ : اسم يظلُّ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره ، خائفاً : خبر يظلّ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٢) كنْ : فعل أمر ناقص مبني على السكون ، واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ، مستعداً : خبره منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٣) اسم الفاعل من هذه الأفعال يعمل عمل الماضي

مثل : قضى اللهُ يا أسماءُ أنْ لستُ زائلاً
أحبُّكِ حتى يغمِضَ الجفنَ مُغمِضُ

زائلاً : اسم الفاعل من (زال) وهو خبر ليس منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، واسمه ضمير مستتر تقديره أنا ، وجملة (أُحبُّكِ) في محل نصب خبره .

(٤) ما يزالُ : فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، عالماً : خبر ما يزال منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٥) لم : حرف نفي وجزم ، ينفكِ : فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه الكسرة عوضاً عن السكون لالتقاء الساكنين ، الثلجُ : اسم لم ينفكِ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، يذوبُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة الفعلية في محل نصب خبر لم ينفكِ .

(٦) معنى كون (ما) مصدرية أنّها تجعل ما بعدها في تأويل مصدر ، ومعنى كونها ظرفية أنّها نائبة عن الظرف وهو (المدّة) المقدّرة .

(٧) اسم ما دام ضمير مستتر تقديره هو .

٥ . أحوال اسم كان وأخواتها .

يأتي اسم كان وأخواتها :

أ . اسماً معرباً كما في الأمثلة السابقة .

ب . أو اسماً مبنياً (ضميراً أو اسم إشارة أو اسماً موصولاً . . . الخ) .

مثل : كُنْتُ مُجدّاً .(١)

: ظلَّ هذا الأمرُ معلّقاً(٢) .

: ما زال الذي نجحَ مسروراً .(٣)

٦ . أحوال خبر كان وأخواتها .

خبر كان وأخواتها يكون :

أ . اسماً ظاهراً (مفرداً) .(٤)

مثل : كانت الفتاةُ نشيطةً .

: أصبحَ العمالُ نشيطينَ .

: ما زالت الفتياتُ نشيطاتٍ(٥) .

ب . أو شبه جملة (ظرف أو جار ومجرور) .

مثل : كانَ الكتابُ على الرفِّ .(٦)

: أضحَت الطائرةُ فوق السحابِ(٧) .

---

(١) كان : فعل ماضٍ ناقص مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة ، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم كان .
مُجدّاً : خبر كان منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٢) ظلَّ : فعل ماضٍ ناقص من أخوات كان مبني على الفتح ، هذا : اسم اشارة مبني على السكون في محل رفع اسم ظلَّ ، الأمرُ : بدل من اسم الاشارة مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره .
معلقاً : خبر ظلَّ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٣) الذي : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع اسم ما زال ، نجحَ : فعل ماضٍ مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، مسروراً : خبر زال منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٤) معنى كون اسمها مفرداً أنّه ليس جملة ولا شبه جملة .

(٥) نشيطاتٍ : خبر ما زال منصوب وعلامة نصبه تنوين الكسر عوضاً عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم .

(٦) على الرفِّ : شبه جملة جار ومجرور في محل نصب خبر كان .

(٧) فوق : ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، السحابِ : مضاف إ مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره ، وشبه الجملة الظرفية في محل نصب خبر أضحى .

جـ . أو جملة (اسمية أو فعلية)

مثل : كانَ التلميذُ سلوكُهُ جيِّدٌ[١] .

: ما انفكَّ الأطفالُ يلعبونَ[٢] .

٧ . **تقديم خبر كان على اسمها .**

أ . يجوز تقديم خبر كان على اسمها إذا كان الخبر شبه جملة والاسم معرفة .

مثل : كانَ في البيتِ أخوكَ[٣] .

: كانَ فوقَ السطحِ محمدٌ[٤]

ب . ويجب تقديم خبر كان على اسمها :

ـ اذا كان الخبر شبه جملة والاسم نكرة .

مثل : ما زالَ في الكوبِ ماءٌ[٥] .

: كانَ فوقَ الغصنِ عصفورٌ .

ـ إذا اتصل اسمها بضمير يعود على خبرها .

مثل : كانَ في الكليةِ عميدُها .

٨ . **تقديم خبر كان عليها وعلى اسمها**[٦] .

يجب تقديم خبر كان عليها وعلى اسمها إذا كان الخبر ممّا له الصدارة في الكلام .

---

(١) سلوكُهُ : سلوكُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، والضمير بعده مضاف إليه في محل جر ، جيّدٌ : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم ، والجملة الاسمية في محل نصب خبر كان .

(٢) يلعبون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، واو الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل ، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ما انفكّ .

(٣) كانَ : فعل ماضٍ ناقص مبني على الفتح ، في البيتِ : شبه جملة جار ومجرور في محل نصب خبر كان مقدّم ، أخوكَ : أخو : اسم كان مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنّه من الأسماءِ الخمسةِ وهو مضاف ، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه .

(٤) فوقَ : ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، السطحِ : مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره ، وشبه الجملة الظرفية في محل نصب خبر كان مقدّم ، محمدٌ : اسم كان مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٥) ما زال : فعل ماض ناقص من أخوات كان ، في الكوب : شبه جملة جار ومجرور في محل نصب خ مقدّم ، ماءٌ : اسم ما زال مؤخر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ .

(٦) لا يجوز تقديم خبر (ما دام) عليها .

مثل : أينَ كنتَ ؟(١)

: كيفَ أصبحْتَ ؟

٩ . ما تختصّ به (كان) دون أخواتها

تنفرد كانَ وحدها دون سائر أخواتها بجواز .

ـ حذفها مع اسمها .

ـ حذف نونها .

ـ زيادتها في الكلام .

أ . يجوز حذف كان واسمها بعد أداتي الشرط (إنْ ، ولو) .

مثل : كلُّ إنسانٍ محاسبٌ على عملِهِ ، إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرّاً فشرٌّ(٢) .

: في سبيلِ الحريةِ يهونُ ما يُبذلُ ولو أرواحاً . (٣)

: تصدَّقوا ولو بشقِّ تمرة .

ب . يجوز حذف نون كان بشرط أن تكون فعلاً مضارعاً مجزوماً بالسكون وليس بعدها ساكن أو ضمير متصل .

مثل : لم يكُ عنترةُ إلّا شاعراً بطلاً(٤) .

جـ . يجوز زيادة كان بين ما التعجبية وفعل التعجب .

مثل : ما كانَ أحسنَ محمداً(٥) (أصل الجملة : ما أحسنَ محمداً) .

---

(١) أينَ : اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر كان مقدم ، كنْتَ : كان : فعل ماضٍ ناقص مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة . والتاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع اسم كان .

(٢) إنْ : حرف شرط مبني على السكون لا محل له من الإعراب .
خيراً : خبر كان المحذوفة منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، واسمها محذوف أيضاً وتقدير الكلام : إنْ يكن عمله خيراً فخيرٌ وإنْ يكنْ عمُلهُ شرّاً فشرٌّ .

(٣) لو : حرف شرط مبني على السكون لا محل له من الإعراب .
أرواحاً : خبر كان المحذوفة منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، واسمها محذوف أيضاً وتقدير الكلام : ولو كان المبذولُ أرواحاً .

(٤) لم : حرف نفي وجزم ، يكُ : فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة ، عنترةُ : اسم يكُ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره ، إلّا : أداة حصر ، شاعراً خبر يكُ منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح ، بطلاً : نعت منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

(٥) ما : اسم تعجب مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، كان : فعل ماضٍ زائد مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، أحسنَ : فعل ماضٍ مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر ما . محمداً : مفعول به منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

٧٥

نوائد

١ . يجوز أن تستعمل كان وأخواتها فيما عدا (ليس - ما زالَ - ما فتيءَ) كأفعال تامة (أي غيرنا قصة) بمعنى أن الفعل يكتفي بفاعله ولا يحتاج إلى خبر .

مثل : ما شاءَ اللَّهُ كانَ[١] (كان هنا بمعنى حدث أو حصلَ) .

: ظلَّ الحارسُ مستيقظاً حتى أصبحَ[٢] (أصبح هنا تفيد معنى الدخول في وقت الصباح) .

: تأخرْتُ في الطريق حتى أمسيْتُ[٣] (أمسى هنا تفيد معنى الدخول في وقت المساء) .

: نمْتُ حتى أضحيْتُ[٤] (أضحى هنا بمعنى الدخول في وقت الضحى) .

: باتَ محمدٌ في الفندقِ[٥] (باتَ هنا بمعنى نامَ أو قضى ليلته) .

: ما دامَ شيءٌ[٦] (دام هنا بمعنى بقي) .

٢ . إذا دخلت حروف النفي (إنْ - ما - لا - لاتَ) على المبتدأ والخبر فإنَّها تعمل عمل ليس[٧] ، تُبقي المبتدأ مرفوعاً ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمّى خبرها .

---

(١) كانَ : فعل ماضٍ تام مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو

(٢) أصبحَ : فعل ماضٍ تام مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو

(٣) أمسيْتُ : أمسى : فعل ماضٍ تام مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة ، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل .

(٤) أضحيْتُ : أضحى : فعل ماضٍ تام مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة ، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل .

(٥) باتَ : فعل ماضٍ تام مبني على الفتح ، محمدٌ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم

(٦) ما : حرف نفي مبني على السكون ، دامَ : فعل ماضٍ تام مبني على الفتح ، شيءٌ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم .

(٧) تعمل هذه الحروف عمل (ليس) بشرط أن يكون اسمها مقدّماً على خبرها وأنَّ النفيَ الذي أفادته الأداة باقٍ لم ينقض بإلاّ . ويشترط في عمل (لا) بالإضافة إلى ما تقدَّم أن يكون اسمها وخبرها نكرتين .

مثل : ما الأشجارُ مثمرةً(١) .

: لا طالبٌ غائباً .

: إنْ أحدٌ خيراً من أحدٍ إلّا بالتقوى .

(٣) تعدّ كاد وأخواتها من أخوات كان ، فهي تدخل على الجملة الاسمية فتبقي المبتدأ مرفوعاً ويسمّى اسمها ، وتجعل الخبر في محل نصب ويسمّى خبرها .(٢)

مثل : كادَ الماءُ ينفدُ(٣)

وكاد وأخواتها ثلاثة أقسام هي :

أ . أفعال المقاربة (وتفيد قرب وقوع الخبر)(٤) وأشهرها : كادَ وأوشكَ وكَرِبَ .

ب . أفعال الرجاء (وتفيد معنى الرجاء في حصول الخبر) وأشهرها : عسى وحرى واخلولقَ .

جـ . أفعال الشروع (وتفيد معنى الشروع والبدء في الخبر) وأشهرها : شرعَ وأنشأ وأخذَ وطفِقَ وجعلَ وهبْ .

---

(١) ما : حرف نفي يعمل عمل ليس ، الأشجارُ : اسم ما مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره ، مثمرةً : خبر ما منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح .

ملحوظة : لات هي لا النافية زيدت عليها تاء التأنيث مفتوحةً . وهي تعمل عمل (ليس) بشروط (لا) ، إلا أ هناك شرطين آخرين لا بدّ منهما لإعمالها ، وهما :

- أن اسمها وخبرها لا يجتمعان ، بل لا بد من حذف أحدهما والأكثر حذف اسمها .
- أنّها لا تعمل إلّا في كلماتٍ تدلّ على الزمان ، وعلى وجه الخصوص في ثلاث كلمات هي (حينَ وساعة وأوان) .

مثل : تندم الآنَ ولاتَ حينَ مندمٍ

لاتَ : حرف نفي يعمل عمل ليس ، واسمها محذوف تقديره (الحين) ، حين : خبر لات منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، مندم : مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره .

(٢) خبر هذه الأفعال لا يكون إلّا جملةً فعلية فعلها مضارع .

(٣) كادَ : فعل ماضٍ ناقص من أخوات كان مبني على الفتح ، الماءُ : اسم كادَ مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره يَنْفَدُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كاد .

(٤) مضارع أفعال المقاربة يعمل عمل الماضي ، مثل : توشكُ الشمسُ أنْ تغيب .

توشكُ : فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، الشمسُ : اسم توشك مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، أنْ : حرف نصب ، تغيب : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي ، والجملة الفعلية في محل نصب خبر توشك .

ملحوظة : بعض النحاة يعربون (أنْ) حرف مصدري ونصب ، ويرون أن المصدر المؤول منها ومن الفعل الذي يليها في محل نصب خبر للفعل الناقص قبلها .

وخبر هذه الأفعال يقترن بأنْ على النحو التالي :

ـ وجوباً : مع حرى واخلولقَ

مثل : حرى النجاحُ أنْ يستمرَّ

ـ جوازاً : مع عسى وأفعال المقاربة (١)

مثل : عسى الرخاءُ أنْ يدومَ .

: أوشكَ الشتاءُ أنْ ينتهيَ .

أما أفعال الشروع فيمتنع اقتران خبرها بأنْ .

مثل : شرعَ الولدُ يلعبُ .

: أخذَ المطرُ ينهمرُ .

فوائـــد :

١ . يجوز دخول الواو على خبر كانَ إنْ كانت بصيغة الماضي أو المضارع ، بشرط أن يسبقها نفيٌ ، وأنْ يقترن خبرُهَا بإلاَّ ، مثل :

ما كانَ مِنْ إنسانٍ إلا وَلَهُ أَجلٌ (٢) .

٢ . يَكْثُر دخول حرف الجرّ الزائد (الباء) على خبر كلٍّ من كانَ وليس إذا سُبِقتا بنفيٍ ،

مثل : ما كان أخوك بغائبٍ (٣) .

ليسَ المعلمُ بغائبٍ .

---

(١) الأكثر في (عسى وأوشك) اقتران خبرهما بأنْ وفي كاد وكرب تجرّده منها .

(٢) ما : حرف نفي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب . كانَ : فعل ماضٍ ناقص مبني على الفتح . مِنْ : حرف جرّ زائد ، إنسانٍ : اسم كانَ مرفوع وعلامة رفعه ضمّة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد . إلاَّ : حرف استثناء مُلغى مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب . وَلَهُ : الواو حرف داخل على خبر كان مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب ، لَهُ : شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدّم . أجلٌ : مبتدأ مؤخّر مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضمّ ، والجملة الاسمية من المبتدأ وخبره في محل نصب خبر كانَ .

(٣) بغائبٍ : الباء حرف جر زائد ، غائبٍ : خبر كان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد .